مقالات

محمد عبدالله الفريح

شخصية مبادرة

في إحدى أمسيات شهر ديسمبر عام ١٩٥٥ الباردة جمعت (روزا باركس) ذات البشرة السمراء التي تعمل خياطة حاجاتها، وتجهزت للعودة إلى بيتها بعد يوم من العمل الشاق المضني، مشت روزا في الشارع تحتضن حقيبتها مستمدة منها بعض الدفء اللذيذ.

التفتت (روزا) يمنة ويسرة، ثم عبرت الطريق، ووقفت تنتظر الحافلة؛ كي تقلّها إلى وجهتها، وفي أثناء وقوفها الذي استمر عشر دقائق كانت تشاهد في ألم منظرًا مألوفًا في أمريكا آنذاك، وهو قيام الرجل الأسود من كرسيه؛ ليجلس مكانه رجل أبيض.

لم يكن هذا السلوك وقتها نابعًا من روح أخوية، أو لمسة حضارية، بل إن القانون الأمريكي آنذاك كان يمنع منعًا باتًّا جلوس الرجل الأسود، وسيده الأبيض واقف، حتى إن كانت الجالسة امرأة سوداء عجوزًا، وكان الواقف شابًّا أبيض في عنفوان شبابه، فتلك مخالفة تُغرم عليها المرأة العجوز.

وكان مشهورًا وقتها أن تجد لوحة معلّقة على باب أحد المحالّ التجارية أو المطاعم مكتوبًا عليها: (ممنوع دخول القطط والكلاب والرجل الأسود).

كل تلك الممارسات العنصرية كانت تصيب (روزا) بحالة من الحزن والألم والغضب، فإلى متى يعاملون على هذا النحو من الدونية وقلة المكانة؟!

لماذا يُحقرون، ويُزدرون، ويكونون دائمًا في آخر الصفوف، ويصنفون مع الحيوانات؟

وعندما وقفت الحافلة استقلّتها (روزا)، وقد أبرمت في صدرها أمرًا.

قلّبت بصرها يمنة ويسرة، فما أن وجدت مقعدًا خاليًا، حتى ارتمت عليه، وقد ضمّت حقيبتها إلى صدرها، وجلست تراقب الطريق الذي تأكله الحافلة في هدوء، إلى أن جاءت المحطة المقبلة، وصعد الركاب، وإذا بالحافلة ممتلئة، وبهدوء اتجه رجل أبيض إلى حيث تجلس (روزا) منتظرًا أن تفسح له المجال، لكنها ويا للعجب نظرت إليه غير مبالية، وعادت لتطالع الطريق مرة أخرى!

ثارت ثائرة الرجل الأبيض، وأخذ الركاب البيض يسبون (روزا) ويتوعدونها إن لم تقم من فورها، وتجلس الرجل الأبيض الواقف.

لكنها أبت، وأصرت على موقفها، فما كان من سائق الحافلة أمام هذا الخرق الواضح للقانون إلا أن يتجه مباشرة إلى الشرطة؛ كي تحقق مع تلك المرأة السوداء التي أزعجت السادة البيض!

وبالفعل تمّ التحقيق معها وتغريمها خمسة عشر دولارًا، نظير تعدّيها على حقوق الآخرين.

وهنا انطلقت الشرارة في سماء أمريكا، فثارت ثائرة السود في جميع الولايات، وقرّروا مقاطعة وسائل المواصلات، والمطالبة بحقوقهم بوصفهم بشرًا، لهم حق الحياة والمعاملة الكريمة.

استمرت حالة الغليان مدة طويلة، امتدت إلى ٣٨١ يومًا، وأصابت أمريكا بصداع مزمن.

وفي النهاية خرجت المحكمة بحكمها الذي نصر (روزا باركس) في محنتها، وتمّ إلغاء ذلك العرف الجائر وكثير من الأعراف والقوانين العنصرية.

وفي ٢٧ أكتوبر عام ٢٠٠١، بعد مرور ٤٦ سنة على هذه الحادثة، تمّ إحياء ذكراها في التاريخ الأمريكي، حيث أعلن السيد ستيف هامب، مدير متحف هنري فورد في مدينة ديربورن في ميتشيجن عن شراء الحافلة القديمة المهترئة من موديل الأربعينيات التي وقعت فيها حادثة السيدة (روزا باركس) التي قدحت الزناد الذي دفع حركة الحقوق المدنية في أمريكا للاستيقاظ، بحيث تعدَّل وضع السود.

وقد تمّ شراء الحافلة بمبلغ ٤٩٢ ألف دولار أمريكي. وبعد أن بلغت (روزا باركس) الثمانين من العمر، تذكر في كتاب صدر لها لاحقًا بعنوان «القوة الهادئة» عام ١٩٩٤ بعض ما اعتمل في مشاعرها آنذاك، فتقول: «في ذلك اليوم تذكرت أجدادي وآبائي، والتجأت إلى الله، فأعطاني القوة التي يمنحها المستضعفين».

وفي ٢٤ أكتوبر عام ٢٠٠٥ احتشد الآلاف من المشيعين الذين تجمعوا للمشاركة في جنازة (روزا باركس) رائدة الحقوق المدنية الأمريكية التي توفيت عن عمر يناهز ٩٢ عامًا.

يوم بكى فيه الآلاف، وحضره رؤساء دول، ونكّس فيه علم أمريكا، وتمّ تكريمها بأن رقد جثمانها في أحد مباني الكونجرس، وهو إجراء تكريمي لا يحظى به سوى الرؤساء والوجوه البارزة.

ولم يحظَ بهذا الإجراء سوى ٣٠ شخصًا منذ عام ١٨٥٢، ولم يكن منهم امرأة واحدة.

ماتت (روزا) وعلى صدرها أعلى الأوسمة، فقد حصلت على الوسام الرئاسي للحرية عام ١٩٩٦، والوسام الذهبي للكونجرس عام ١٩٩٩، وهو أعلى تكريم مدني في البلاد. وفوق هذا وسام الحرية الذي أهدته لكل بني جنسها عبر كلمة: (لا) أشهر (لا) في تاريخ أمريكا.

تدبر: كل حدث تاريخي جلل، وكل موقف كبير مشرف، كان وراءه شخصية مبادرة تؤمن بقدرتها على قهر ما اصطلح الناس على تسميته (المستحيل)، فكيف يصبح المرء منا شخصية مبادرة؟ كيف يمكن أن نصنع بأيدنا العالم الذي نحيا فيه؟

العقل الهادئ

اكتشف مزارع ذات يوم أنه فقد ساعته اليدوية في مخزن الحبوب. لقد كانت تلك الساعة غير عادية، إذ إنها ذات قيمة عاطفية خاصة بالنسبة له. بعد تفتيشه وتنبيشه في التبن لمدة طويلة لم يعثر على شيء، توجّه طالبًا مساعدة مجموعة من الفتية، الذين كانوا يلهون ويمرحون بالقرب من المخزن، وعد المزارعُ بمكافأة من سيعثر عليها، وهكذا أسرع الفتية وولجوا المخزن، وأخذوا في البحث الحثيث عن الساعة في كل ركن وزاوية، لكن دون جدوى.

عندما كان المزارع على وشك الاستسلام واليأس من إيجادها، تقدّم فتى صغير من المزارع طالبًا منحه مهلة أخرى للبحث. ألقى المزارع نظرة على الفتى، وقال في نفسه: لم لا؟ يظهر أنه جادّ ومخلص فيما يطلب، وهكذا بعث المزارع الفتى لمخزنه، وبعد هنيهة عاد الفتى والساعة بيده. فرح المزارع بها فرحًا شديدًا، وقد بدت عليه علامات الدهشة سائلًا الفتى: كيف نجحت في هذه المهمة في حين فشل أقرانك الآخرون؟ ردّ الفتى قائلًا: لم أعمل شيئًا سوى الجلوس على المصطبة وإرهاف السمع، في مثل ذلك الجو من الهدوء والسكينة، تناهت إلى مسمعي تكتكات الساعة، فقمت وبحثت عنها في ذلك الاتجاه فوجدتها!!.

تعجبت كثيرًا عندما قرأت هذه القصة، كيف للهدوء الداخلي والخارجي عندما يجتمعا أن يحدثا المعجزات في حياتنا، فهذا طبيب القلب عندما يضع سماعته على قلب المريض ينصت بخشوع شديد، وكذلك من حوله من الطاقم الطبي وبشكل تلقائي

لمنح الفرصة للطبيب للاستماع لضربات القلب، ليتأكد من انتظام ضرباته.

وهذا مهندس السيارات يصغي بإذنيه وجوارحه لسماع صوت محرك السيارة وهي دائرة ليتأكد من مكمن الخلل بها، ويستطيع من ثم ضبط إيقاعها من جديد.

وهذه الحيوانات والطيور بكل أنواعها تخضع نفسها وفصائلها لساعات الهدوء والسكينة وساعات الإنصات المتلاحقة لتتأكد من عدم وجود الأعداء بالقرب منها، بل إن الكثير منها ينجو بحياته بسبب هذه الخصلة الجميلة، التي أودعها الخالق جلت قدرته في كل مخلوقاته.

كما نرى المفترسات من الحيوانات والجوارح لا تستطيع صيد فرائسها دون الخضوع للعمل بهدوء شديد، وبسكينة تمتد لساعات أحيانًا، وتحرص جميع الكائنات على إكساب فصائلها هذه المهارة الهائلة منذ نعومة أظفارها لإدراكها أن نتائج إتقان هذه المهارة ستكون استثنائية بكل أبعادها.

في كثير من الأحيان نحتاج إلى الهدوء والسكينة والإنصات بمهاره لنستطيع سماع صوت من نحب واحتواء بعضنا، والقضاء على خلافاتنا وتعدد آرائنا بقليل من هذه المهارات التي منحها لنا الخالق في هذا الكون.

ويزيد هذه الصفات جمالاً وبهاءً ما ذكره الخالق عز وجل في كتابه العظيم عن متقني هذه المهارة حين أثنى عليهم بقوله: الَّذِينَ يَسْتَمِعُونَ الْقَوْلَ فَيَتَّبِعُونَ أَحْسَنَهُ أُولَئِكَ الَّذِينَ هَدَاهُمُ اللَّهُ وَأُولَئِكَ هُمْ أُولُوا الْأَلْبَابِ (١٨)

وتذكر دائمًا أن:

من لا يتقن فن الاستماع في الغالب الأعم لا يجيد فن الحديث.

خاطرة:

السكينة الداخلية هي على وجه التحديد التي ستغير العالم وتنقذه.

إيكهارت تول.

فن إخماد الأفكار

ترددت كثيرًا قبل كتابة هذه السطور خوفًا من أن يتبادر إلى ظنك أننى أقصد أن تقوم بإيقاف دماغك وعقلك عن التفكير، ولكن القصد عكس ذلك تمامًا، تشير الإحصاءات الحديثة إلى عقل الإنسان يتعرض يوميًّا ما بين خمسين إلى ستين ألف فكرة، تزداد مع بعض الأشخاص لتصل ما يقارب مئة ألف فكرة وتقل عن البعض لتصل إلى أقل من ذلك بكثير، من يلاحظ نمط الحياة اليوم سوف يلفت انتباهه بشدة حجم التسارع في حياتنا، مما أدى بالمقابل لتسارع الأفكار ودخولها إلى أدمغتنا بكسل قسري تبعًا لذلك، وتأثيرها الشديد على أدمغتنا،مما أصاب الكثير منا بالتشتت والنسيان وفقدان التركيز تمامًا عن كثير من أعماله ومهامه اليومية،

إذن ما الحل؟

الحل هو إخماد هذا السيل الجارف من الأفكار بطرق يصفها العلم اليوم لنا أنها أصبحت من الضروريات الملحة لإعادة التوازن والتركيز لحياتنا، ولعل من أهم ما يمكن عرضه هنا للمساعدة بهذا الخصوص ممارسة رياضة التأمل، والخلوة مع النفس والهدوء والسكينة، والتنفس العميق، ولو لأوقات قليلة يوميًّا، يساعد بشكل جيد على إطفاء وطرد هذه الأفكار بشكل منهجي، وعندما شرعت بكتابة هذه السطور ورد على ذهنى قول أم المؤمنين عائشة رضي الله عنها في الحديث الذي يرويه الإمامان البخاري ومسلم (عن عائشة أم المؤمنين رضي الله عنها، أنها قالت: أول ما بدئ به رسول الله صلى الله عليه وسلم من الوحي الرؤيا الصالحة في النوم. فكان لا يرى رؤيا إلا جاءت مثل فلق الصبح. ثم حبب إليه الخلاء، وكان يخلو بغار حراء، فيتحنث فيه، وهو التعبد الليالي ذوات العدد قبل أن ينزع إلى أهله، ويتزود لذلك)

أخرجه البخاري في صحيحه (رقم٣)، ومسلم في صحيحه (رقم١٦٠).

وتعجبت من هذا الأمر الذي أمر الله عز وجل به الأنبياء والمرسلين، لابد أن له سحرًا وتأثرًا عجيبًا في أداء مهامهم الموكلة إليهم، وأي مهام؟ حيث تبدأ مع ممارسة هذه العادة وغيرها من عادات التأمل والسكينة حركة الأفكار بالبطء، وتخف سرعتها وينخفض صوتها وضجيجها من أدمغتنا، كما وتمنح الشخص سلامًا داخليًّا عالي القيمة والتأثير على حياته اليومية، ومن ثم يبدأ في الدخول في دائرة الاستنارة،التي تخوله أداء رسالته على أكمل وجه بإذن الله، وبما أن ظروفنا اليوم تغيرت بشكل جذري، فيمكن أن يمارس الشخص عددًا من العادات أيضًا التي سوف تساعده دون شك على خفض وتيرة هذه الأفكار إلى أقصى حد ممكن ومنها:

قيام الليل

جلوس التشريق وهي: الجلوس من بعد صلاة الفجر لحين شروق الشمس

ممارسة رياضة اليوقا (رياضة هندية قديمة)

ممارسة رياضة تاي تشي (هي إحدى الرياضات الروحية التي تطورت عن الفنون القتالية القديمة في آسيا).

وغيرها من الممارسات التي تناسب ظروف وطبيعة كل شخص.

معلومة:

المخ البشري تمر عليه يوميًّا آلاف الأفكار ..

لذلك من الصعب سماع صوت القلب ..

وأحد الحلول ممارسة التأمل

خاطرة:

في عمق الصمت تجد جميع الأجوبة هناك.

الحكيم الصيني أوشو

عشبة الحياة

جرت أحداث هذه القصة في منتصف القرن الثاني الميلادي في بلاد الحكمة العظيمة (الصين)، حيث كانت هناك امرأة عجوز بلغت من الكبر عتيًّا، وقد رأت السنين تمر سريعًا وابنها الوحيد يكبر بين عينيها، فعرضت عليه أن يتزوج من إحدى بنات قريته، إذ كانت لها رغبة شديدة في أن ترى أحفادها قبل موتها، ونزولًا على رغبتها وإلحاحها تزوج الابن إحدى بنات قريته الهادئة الوادعة، وما إن تزوج، وحضرت زوجته لتسكن مع زوجها في بيت كان يضم والدته المسنة، حتى بدأت الغيرة الشديدة تأخذ من راحة الزوجين وعلاقتهما كل مأخذ، فأبت زوجته إلا أن تصبر، وأخذت على نفسها عهدًا بأن تصبر؛ وفاءً لزوجها الذي كان يحسن معاملتها، ويرفق بها، ومرت الأشهر تلو الأشهر، والزوجة تصبّر نفسها إلى أن جاء اليوم الذي قررت فيه أن لا حيلة في استمرار حياتها إلا بالتخلص من هذه العجوز إلى الأبد، فأشارت عليها إحدى قريباتها بأن تلجأ إلى أحد حكماء القرية المجاورة، ومن الغد باكرًا انطلقت إلى القرية المجاورة، متذرعة بأنها سوف تحضر بعض البذور من بعض المزارعين هناك، سارعت خطاها نحو حكيم القرية، وعندما وصلت إليه وجدته شيخًا طاعنًا في السن، بأن ذلك في تجاعيد وجهه وعينيه الغائرتين، وما إن لمحها حتى طلب منها أن تجلس، وترتاح قليلًا، وتشرح له مشكلتها، فانفجرت تبكي بكاءً شديدًا، وقصت عليه قصتها منذ زواجها، وعلاقتها المتوترة مع والدة زوجها المسنة، وكيف أنها تسيء معاملتها، وتعاملها بكل احتقار، فقال لها: وما تريدين مني عمله تجاه هذه المشكلة؟، فقالت له: إنني قررت أن أتخلص من هذه العجوز نهائيًّا، فإن إحدى قريباتي نصحتني بزيارتك، فلديك حل سحري لمثل هذه المشكلات، فقال لها: ليس هناك ما يمنع من مساعدتك، ولكنَّ هناك شرطًا مهمًا يجب الالتزام به قبل الشروع في مساعدتك، فقالت له: إنني مستعدة لعمل ما تريد مقابل مساعدتي على التخلص من هذه العجوز، فقال لها: يجب في البداية أن تغيري طريقة معاملتك لوالدة زوجك؛ كي لا تلفتي انتباه الناس عند موتها، فيشك فيك زوجك ومَنْ حولك بأنك من قمت بقتلها، فوافقت على الفور، وقال لها أيضًا: خذي هذه العشبة السامة، وقومي بغليها كل يوم باكرًا، وأعطيها والدة زوجك قبل خروجك للحقل، واستمري على هذا الأمر أربعة عشر يومًا، بعد ذلك ستموت في اليوم الخامس عشر، بعد أن يكون السم قد سرى في جميع جسدها، وعلى الفور أخذت الزوجة العشبة، وانطلقت بها لقريتها تنتظر الصباح على أحر من الجمر، وما إن أشرقت شمس صبيحة ذلك اليوم حتى قامت الزوجة بغلي جزء من العشبة، وقدمتها لوالدة زوجها، ما أثار حفيظتها واستغرابها الشديدين من هذه المعاملة التي لم تعتد عليها!!

استمرت الزوجة على هذا المنوال سبعة أيام، وكأنها سبع سنوات شداد، عندها لاحظت أن والدة زوجها بدأت تتغير معاملتها لها بشكل غريب، وصارت تسأل عن صحتها وعن تعامل ابنها معها، وما إذا كان يسيء معاملتها، أو يرغمها على العمل بشكل مرهق؟، فقالت لها الزوجة: إنه على العكس من ذلك تمامًا، وبدأت الوالدة تتعامل مع هذه الزوجة، كما لو أنها ابنتها، وأصبحت تقف بجانبها عند نشوب أي خلاف مع ابنها، وتطلب من ابنها أن يحسن معاملتها، وتقول لابنها: إنها لو أنجبت بنتًا، فلن تكون في مثل هذه الزوجة لها في حسن معاملتها وصبرها، أطبق صمت رهيب على المكان بعد هذه الكلمات من والدة زوجها، وأخذ الخوف والرعب من الزوجة حدًّا بعيدًا، فهي تعرف أن السم يسري في جسدها، وسيقضي عليها في غضون سبعة أيام كما أخبرها الحكيم، فأصابتها الحيرة الشديدة، وتمكن منها الهلع، فهي لا تريد لهذه العجوز أن تموت، فالأمر الذي كانت تريد موتها من أجله انتهى الآن، ولكنها لا تدري ماذا تفعل، فأشارت عليها قريبتها السابقة نفسها بأن تعود إلى الحكيم، وتستشيره لعله يجد لها حلًّا ومخرجًا، على الفور ذهبت للحكيم تستنجده ليجد لها حلًّا، لكنه أخبرها بأن الأمر قد انتهى، وأن العجوز سوف تموت لا محالة في غضون سبعة أيام، وعليها أن تستعد لهذه المرحلة من حياتها، وقال لها: ارجعي لي بعد سبعة أيام لنرى ماذا سنفعل، سأبذل ما في وسعي، ولكن لا أعدك بشيء، رجعت الزوجة بخيبة شديدة وحسرة لا تدري ماذا تفعل، وجلست تنتظر مرور هذه الأيام الثقيلة جدًّا على أحرّ من لهب النار، وكلما اقترب الموعد بدأ قلبها يزداد خفقانًا؛ خوفًا واضطرابًا، وفي اليوم الموعود رجعت للحكيم لعله يجد لها مخرجًا مما وضعت نفسها فيه، فأجلسها الحكيم، وهدّأ من روعها، وقال لها: اعرضي على قصتك مرة أخرى، فعرضتها بشكل مختلف عن سابقتها من حيث ثناؤها على والدة زوجها، وكيف كانت رفيقة بها وحسنة المعاملة، وأنها تقف في صفها عند أي خلاف ينشب مع زوجها، فقال لها الحكيم: وما الذي تغير عما سبق، فقد كنت مُصرّة على قتلها والتخلص منها، فقالت له: إن معاملتها تغيرت بشكل كبير منذ أن بدأت أعطيها العشبة بعد غليها، فقال لها الحكيم: توقفي الآن يكفي إلى هذا القدر، يبدو أنك متعبة جدًّا من هذا الأمر، وسأنهيه لك، اسمعي يا ابنتي، نحن البشر انعكاس لما نجده، بمجرد أن رأت أم زوجك حسن معاملتك ورفقك بها وصنيعك معها تعاملت معك بالمعيار نفسه، هذا هو حال الأسوياء من البشر، كثيرًا ما نبحث عن حلول لمشكلاتنا عند الآخرين، بينما هي في الحقيقة في أعماق أنفسنا، قالت: له، والسم الذي يجري في جسدها ماذا أصنع به؟! قال: لا عليك هذا ليس سمًّا، هذه عشبة عادية يستطيع أخذها كل واحد، ولن تلحق بها أي ضرر.

تعقيب:

كثيرًا ما نرى مشكلات ومعوقات لا حلول لها إلا بالخلاص والفكاك منها نهائيًّا، ونبذل الغالي والرخيص من أموالنا وأوقاتنا وأنفسنا لتحقيق ذلك، بينما هي في الحقيقة فرص سانحة لنعدل سلوكنا، ونقيّم أنفسنا، ونروضها، ونرممها من الداخل قبل أن نطلب من الآخرين ذلك.

وأنا أدون هذه الأسطر تذكرت عظمة الحديث النبوي الشريف الذي ترويه أم المؤمنين عائشة رضي الله عنها أن النبي صلى الله عليه وسلم قال: «إِنَّ الرِّفْقَ لا يَكُونُ فِي شَيْءٍ إِلا زانَهُ، وَلا يُنْزَعُ مِنْ شَيْءٍ إِلا شانَهُ». رواه مسلم (رقم ٢٥٩٤).

ومرت على خاطري مقولة الشاعر والكاتب المسرحي الإنجليزي وليم شكسبير: «أصعب معركة في حياتك عندما يدفعك الناس إلى أن تكون شخصًا آخر!».

ودلف إلى عقلي أيضًا ما قاله جيم هينسون، مبتكر الدمى المتحركة: «أومن باتخاذ مواقف إيجابية تجاه العالم، وأملي أن أرى العالم بصورة أفضل من التي رأيته عليها، عندما أتيت إليه».

دقيقة فقط

«فقط دقيقة»... حكمة أعرضها للبيع، فمن يشتريها مني في زمن نهدر فيه كثيرًا وكثيرًا من الساعات دون فائدة؟

كنت أقف في دوري على شباك التذاكر؛ لأشتري بطاقة سفر في الحافلة إلى مدينة تبعد نحو ٣٣٠ كم، وكانت أمامي سيدة ستينية قد وصلت إلى شباك التذاكر، وطال حديثها مع الموظفة التي قالت لها في النهاية: الناس ينتظرون، أرجوكِ تنحّي جانبًا، فابتعدت المرأة خطوة واحدة لتفسح لي المجال، وقبل أن أشتري بطاقتي سألت الموظفة عن المشكلة؟ فقالت لي: إن هذه المرأة معها ثمن بطاقة السفر، وليس معها يورو قيمة بطاقة دخول المحطة، وتريد أن تنتظر الحافلة خارج المحطة، وهذا ممنوع، فقلتُ لها: هذا يورو، وأعطيها البطاقة. وتراجعتُ قليلًا، وأعطيتُ السيدة مجالًا لتعود إلى دورها بعد أن نادتها الموظفة مجددًا.

اشترت السيدة بطاقتها، ووقفت جانبًا، وكأنها تنتظرني، فتوقعت أنها تريد أن تشكرني، ولكنها لم تفعل، بل انتظرتْ لتطمئن إلى أنني اشتريت بطاقتي، وسأتوجه إلى ساحة الانطلاق، فقالت لي بصيغة الأمر: احمل هذه، وأشارت إلى حقيبتها.

كان الأمر غريبًا جدًّا بالنسبة إلى هؤلاء الناس الذين يتعاملون بلباقة ليس لها مثيل، دون تفكير حملت لها حقيبتها، واتجهنا معًا إلى الحافلة، ومن الطبيعي أن يكون مقعدي بجانبها؛ لأنها كانت قبلي تمامًا في الدور.

حاولت أن أجلس جهة النافذة؛ لأستمتع بمنظر تساقط الثلج الذي بدأ منذ ساعة، وأقسم بأن يمحو جميع ألوان الطبيعة معلنًا بصمته الشديدة: أنا الذي آتي لكم بالخير، وأنا من يحقّ له السيادة الآن! لكن السيدة منعتني، وجلستْ جهة النافذة دون أن تنطق بحرف، فرحتُ أنظر أمامي، ولا أعيرها اهتمامًا، إلى أن التفتتْ إلي تنظر في وجهي، وتحدق فيه، وطالت التفاتتها دون أن تنطق ببنت شفة، وأنا أنظر أمامي، حتى إنني بدأت أتضايق من نظراتها التي لا أراها، لكنني أشعر بها، فالتفتّ إليها.

عندها تبسمتْ، قائلة: كنت أختبر مدى صبرك وتحملك.

- صبري على ماذا؟
- على قلة ذوقي. أعرفُ تمامًا فيما كنتَ تفكر.
- لا أظنك تعرفين، وليس مهمًّا أن تعرفي.
- حسنًا، سأقول لك لاحقًا، لكن بالي مشغول كيف سأردّ لك الدين.
- الأمر لا يستحق، لا تشغلي بالك.
- عندي حاجة سأبيعها الآن، وسأردّ لك اليورو، فهل تشتريها أم أعرضها على غيرك؟
- هل تريدين أن أشتريها قبل أن أعرف ما هي؟
- إنها حكمة، أعطني يورو واحدًا؛ لأعطيك الحكمة.
- وهل ستعيدين لي اليورو إن لم تعجبني الحكمة؟
- لا، فالكلام بعد أن تسمعه لا أستطيع استرجاعه، ثم إن اليورو الواحد يلزمني؛ لأنني أريد أن أردّ به دَيني.

أخرجتُ اليورو من جيبي، ووضعته في يدها، وأنا أنظر إلى تضاريس وجهها. مازالت عيناها جميلتين تلمعان كبريق عيني شابة في مقتبل العمر، وأنفها الدقيق مع عينيها يخبران عن ذكاء ثعلبي. مظهرها يدلّ على أنها سيدة متعلمة، لكنني لن أسألها عن شيء، أنا على يقين أنها ستحدثني عن نفسها، فرحلتنا مازالت في بدايتها.

أغلقت أصابعها على هذه القطعة النقدية التي فرحت بها، كما يفرح الأطفال، عندما نعطيهم بعض النقود، وقالت: أنا الآن متقاعدة، كنت أعمل مدرّسة لمادة الفلسفة، جئت من مدينتي لأرافق إحدى صديقاتي إلى المطار. أنفقتُ كل ما كان معي، وتركتُ ما يكفي لأعود إلى بيتي، ولكن سائق التاكسي أحرجني، وأخذ مني يورو زيادة، فقلت في نفسي: سأنتظر الحافلة خارج المحطة، ولم أكن أدري أنه ممنوع. أحببتُ أن أشكرك بطريقة أخرى، بعدما رأيت شهامتك، حيث دفعت عني دون أن أطلب منك، الموضوع ليس ماديًّا. ستقول لي: إن المبلغ بسيط، سأقول لك: أنت سارعت بفعل الخير دونما تفكير.

قاطعتُ المرأة مبتسمًا: أتوقع أنك ستحكين لي قصة حياتك، لكن أين البضاعة التي اشتريتُها منكِ؟ أين الحكمة؟

- «فقط دقيقة».
- سأنتظر دقيقة.

- لا، لا، لا تنتظر. «فقط دقيقة»... هذه هي الحكمة.

- ما فهمت شيئًا.

- لعلك تعتقد أنك تعرضتَ لعملية احتيال؟

- ربما.

- سأشرح لك: «فقط دقيقة»، لا تنسَ هذه الكلمة. في كل أمر تريد أن تتخذ فيه قرارًا، عندما تفكر فيه، وعندما تصل إلى لحظة اتخاذ القرار أعطِ نفسك دقيقة إضافية، ستين ثانية. هل تعلم كم من المعلومات يستطيع دماغك أن يعالجها خلال ستين ثانية؟ في هذه الدقيقة التي ستمنحها لنفسك قبل إصدار قرارك قد تتغير أمور كثيرة، ولكن بشرط.

- وما الشرط؟

- أن تتجرد عن نفسك، وتُفرغ في دماغك، وفي قلبك جميع القيم الإنسانية والمثل الأخلاقية دفعة واحدة، وتعالجها معالجة موضوعية، ودون تحيز، فمثلًا: إن كنت قد قررت أنك صاحب حق، وأن الآخر قد ظلمك، فخلال هذه الدقيقة، وعندما تتجرد عن نفسك ربما تكتشف أن الطرف الآخر لديه حق أيضًا، أو جزء منه، وعندها قد تغير قرارك تجاهه. إن كنت نويت أن تعاقب شخصًا ما فإنك خلال هذه الدقيقة بإمكانك أن تجد له عذرًا، فتخفف عنه العقوبة، أو تمتنع عن معاقبته وتسامحه نهائيًّا. دقيقة واحدة بإمكانها أن تجعلك تعدل عن اتخاذ خطوة مصيرية في حياتك، لطالما اعتقدت أنها هي الخطوة السليمة، في حين أنها قد تكون كارثية. دقيقة واحدة ربما تجعلك أكثر تمسكًا بإنسانيتك وأكثر بعدًا عن هواك. دقيقة واحدة قد تغير مجرى حياتك وحياة غيرك، وإن كنت من المسؤولين فإنها قد تغيّر مجرى حياة قوم بأكملهم، هل تعلم أن كل ما شرحته لك عن الدقيقة الواحدة لم يستغرق أكثر من دقيقة واحدة؟

- صحيح، وأنا قبلتُ برحابة صدر هذه الصفقة وحلال عليكِ اليورو.

- تفضل، أنا الآن أردّ لك الدين، وأعيد لك ما دفعته عني عند شباك التذاكر. والآن أشكرك كل الشكر على ما فعلته لأجلي.

أعطتني اليورو، فتبسمتُ في وجهها، واستغرقت ابتسامتي أكثر من دقيقة، لأنتبه إلى نفسي، وهي تأخذ رأسي بيدها، وتقبله قائلة: هل تعلّم أنه كان بالإمكان أن أنتظر ساعات دون حلّ لمشكلتي، فالآخرون لم يكونوا ليدروا ما مشكلتي، وأنا ما كنتُ لأستطيع أن أطلب يورو من أحد.

- حسنًا، وماذا ستبيعيني لو أعطيتك مئة يورو؟

- سأعتبره مهرًا، وسأقبلك زوجًا.

علتْ ضحكتُنا في الحافلة، وأنا أُمثلُ أنني أريد النهوض ومغادرة مقعدي، وهي تمسك بيدي قائلة: اجلس لا تخف، فأنا متزوجة، وأنا أقول لها: «فقط دقيقة»، «فقط دقيقة»....

لم أتوقع أن الزمن سيمضي بسرعة، كانت هذه الرحلة من أكثر رحلاتي سعادة، حتى إنني شعرت بنوع من الحزن، حين غادرتِ الحافلة، عندما وصلنا إلى مدينتها في منتصف الطريق تقريبًا.

قبل ربع ساعة من وصولها حاولتْ أن تتصل من جوالها بابنها؛ كي يأتي إلى المحطة ليأخذها، ثم التفتتْ إليّ قائلة: على ما يبدو أنه ليس عندي رصيد، فأعطيتها جوالي لتتصل. المفاجأة أنني بعد مغادرتها للحافلة بربع ساعة تقريبًا تسلّمت رسالتين على الجوال: الأولى تفيد أن هناك من دفع لي رصيدًا بمبلغ يزيد على ١٠ يوروهات، والثانية منها تقول فيها: كان عندي رصيد في هاتفي، لكنني احتلتُ عليك لأعرف رقم هاتفك، فأجزيكَ على حسن فعلتك. إن شئت احتفظ برقمي، وإن زرت مدينتي فاعلم أن لك فيها أمًّا ستستقبلك، فرددتُ عليها برسالة قلت فيها: عندما نظرتُ إلى عينيك خطر ببالي أنهما عينان ثعلبيتان، لكنني لم أتجرأ أن أقول ذلك لك، أتمنى أن تجمعنا الأيام ثانية، أشكركِ على الحكمة، واعلمي أنني سأبيعها بمبلغ أكبر بكثير.

عندما يكون الكلام استثنائيًّا

عندما سأل أحد الصحفيين توماس أديسون عن شعوره حيال ٢٥ ألف محاولة فاشلة قبل النجاح في اختراع بطارية تخزين بسيطة؟ أجاب: لست أفهم لِمَ تُسمّيها محاولات فاشلة؟ أنا أعرف الآن ٢٥ ألف طريقة لا يمكنك بها صنع بطارية، ماذا تعرف أنت؟

يُعدّ أديسون بحق من أعظم المخترعين في التاريخ، عندما دخل المدرسة، بدأ معلموه بالشكوى من بطء استيعابه وإهماله في حل واجباته المنزلية، فقررت والدته أن تدرّس له في المنزل، فقد كان أديسون مولعًا بالعلوم، ففي سن العاشرة أعدَّ مختبرًا كيميائيًّا في منزله، لينتهي به المطاف إلى تسجيل ما يقارب ٢٤٣ اختراعًا باسمه، كان لها الأثر الواضح في حياة إنسان العصر الحديث.

يقول أديسون في ذلك: إن ما حققته هو ثمرة عمل يشكل الذكاء ١ ٪ منه، والمثابرة والجد ٩٩ ٪، وعن اختراع المصباح الكهربائي الذي حققه بعد ألفي محاولة من التجارب الفاشلة، فيقول: أنا لم أفشل أبدًا، فقد اخترعت المصباح في النهاية. لقد كانت عملية من ألفي خطوة، ولا بد من اجتيازها للوصول إلى ذلك.

وقد دُمّر مختبر أديسون في حريق كبير عام ١٩١٤م، وفي ذلك اليوم هُرِع الابن الأكبر لأديسون، (تشارلز)، باحثًا عن أبيه، فوجده واقفًا يراقب اللهب المتصاعد بهدوء، يقول ابنه: شعرت بحزن شديد من أجله، لقد كان في السابعة والستين من العمر، ولم يكن شابًّا، عندما التهمت النيران كل شيء، وحين انتبه أديسون لوجود تشارلز صاح به قائلًا: تشارلز، أين أمك؟ فأجاب بأنه لا يعرف، حينها طلب منه أن يجدها قائلًا له: أوجدها بسرعة، فلن تشهد منظرًا كهذا ما حييت.

وفي صباح اليوم المقبل، تفقد أديسون الركام الذي خلفه الحريق، فقال: هناك فائدة عظيمة لما حصل أمس، فقد احترقت كل أخطائنا، الحمد لله يمكننا البدء من جديد.

بعد ثلاثة أسابيع من الحريق، استطاع أديسون أن يخترع أول فونوغراف (مشغل أسطوانات)، ومن جملة ما اخترع، واستحدث من الآلات والأدوات: الناسخة، وطوّر الآلة الطابعة وجهاز الهاتف والحاكي والشريط السينمائي، وجعل صناعة التلفاز ممكنة باكتشافه مصادفة لما يسمّى (أثر أديسون)، الذي أصبح أساس أنبوب الإلكترون.

بقي أن تعرف أن وراء هذا المخترع العظيم تقف أم استثنائية بكل الأبعاد، فبعد أن تلقت رسالة من مُدرّسة ابنها، عندما كان في الثامنة من عمره، تبلغها بطرد ابنها من المدرسة بسبب غبائه المفرط، وضعف استيعابه واتهامه بخفة العقل، فتلقت الرسالة بكل هدوء، وعندما سألها ابنها عن فحوى الرسالة؟ قالت له: إن المدرّسة تقول: إنه لا يمكن قبول استمرارك في المدرسة بسبب ذكائك وعبقريتك المفرطة، وهذه المدرسة لا تناسب هذه النوعية من الطلاب، فمن الأفضل البحث عن مدرسة بديلة تناسب قدراتك، فيكتشف ابنها بعد ذلك فحوى الرسالة الحقيقة بعد وفاتها، عندما كان يفتّش في أوراقها، فيعقد عزيمته بعد ذلك أن يكون عند حسن ظنها فيه، ويبهر العالم بهذه المنجزات، التي كان يحدث نفسه بها وأصحابه دائمًا، ثم نرى بعد ذلك اختراعاته تتوالى، ولا يكاد يخلو منها منزل على ظهر هذا الكوكب.

تعجبت كثيرًا، عندما قرأت هذه القصة، كيف يكون سحر الكلام الجميل وتحويره ليناسب المقام، وتأثيره في كوامن النفس البشرية، وإطلاق ما تحويه من قدرات وملكات، ثم وقع بين يدي مقولة شهيرة للصحابي الجليل عبدالله بن عباس رضي الله عنهما وهو يصف صحابة رسول الله صلى الله عليه وسلم عندما قال: (لقد خالطت قومًا ينتقون الكلام كما ينتقى أطايب الثمر)، وزاد عجبي، عندما أدركت أن تلك هي وصية الله لعباده في محكم التنزيل، وذلك بقوله تعالى: (وَقُولُوا لِلنَّاسِ حُسْنًا) سورة البقرة آية ٨٣ وقوله عز وجل: (وَقُلْ لِعِبَادِي يَقُولُوا الَّتِي هِيَ أَحْسَنُ إِنَّ الشَّيْطَانَ يَنْزَغُ بَيْنَهُمْ) سورة الإسراء آية ٥٣، وزاد عجبي حتى بلغ منتهاه، عندما علمت أن تلك وصية خير خلق الله صلى الله عليه وسلم لأمته، عندما قال في الحديث الذي يرويه الإمامان البخاري ومسلم في صحيحيهما: (من كان يؤمن بالله واليوم الآخر ، فليقل خيرًا أو ليصمت).

وتمر بخاطري، وأنا أكتب هذه السطور المقولة الشهيرة للعالم النفسي النمساوي الشهير سيجموند فرويد: نستطيع وبكل جدارة أن نقاوم الهجوم والنقد، لكننا عاجزون تمامًا أمام الثناء.

كم تجيد توظيف المواقف؟

وُلد "كاسيوس مارسيلوس كلاي جونيور" يوم ١٧ كانون الثاني/يناير ١٩٤٢م في مدينة لويفيل بولاية كنتاكي، ثم تحول إلي الإسلام وعرف باسم "محمد" لأسرة مسيحية فقيرة من الزنوج الأمريكان، وعانى مع أسرته من سياسة التفرقة العنصرية التي كانت سائدة في هذه الحقبة.

كان الأب يعمل رسامًا على الجدران، فكان من هذه الحرفة يأتي بلقمة العيش، والأم أوديسا جرادي كلاي كانت تعمل أيضًا منظفة منزل وطباخة.

يُعد محمد علي كلاي واحدًا من أبرز الملاكمين الذين شهدتهم حلبات الملاكمة، فهو وهو صاحب أسرع لكمة في العالم التي وصلت سرعتها ٩٠٠ كم.

وهو واحد من أعظم الشخصيات الرياضية في القرن العشرين ، فقد توُج وقتها "برياضي القرن " .

وكانت بدايته في عالم الملاكمة عام ١٩٥٤م، في تلك الأثناء لم يكن الصبي كاسيوس مارسيلوس كلاي قد تجاوز الـ١٢ من عمره عندما سرق أحد الأشخاص دراجته الهوائية، وهو يلعب مع أحد أصدقائه في إحدى صالات الألعاب بالمدينة، وثار الصبي ثورة عارمة عندما اكتشف سرقة دراجته، وتلفظ بألفاظ التهديد والوعيد، قائلاً: إنه سيسحق السارق سحقًا أو يضربه ضربًا مبرحًا عندما يعثر عليه. وتوجه بالكلام إلى رجل شرطة وجده أمامه، فما كان من رجل الشرطة إلا أن سخر من الصبي الطويل النحيف قائلاً له: "من الأفضل لك أن تتعلم الملاكمة أولاً قبل أن تحاول ضرب أحد". ولم يخطر ببال هذا الشرطي أنه - بهذه الجملة الساخرة - كان سببًا في تغيير مسار حياة هذا الصبي، وتوجيهه إلى تعلُّم الملاكمة، وبالفعل بعدها ببضعة أيام، بدأ محمد علي كلاي الذهاب إلى صالة جو مارتن الرياضية، ليبدأ تدريب الملاكمة هناك، ليتعلم رياضة الملاكمة محققًا ١٠٠ انتصار من أصل ١٠٨ مباريات خاضها بصفته ملاكمًا هاويًا قبل مسيرته الاحترافية، ثم كان احترافه لها في عام ١٩٦٠، وكان عمره ١٨ عامًا.

وفي عام ١٩٦٤م صدم العالم عندما استطاع إقصاء الملاكم "سوني ليستون" عن عرش الملاكمة، وهو لا يتجاوز ٢٢ عامًا.

لقد واجه محمد علي كلاي الكثير من التحديات، ويعد أكبر تحدي عند اعتناقه الإسلام، ففي اليوم التالي من بطولته مع ليستون عام ١٩٦٤، أعلن محمد علي كلاي علي الملأ اعتناقه الإسلام أمام كل الجمهور، مما جعل الجمهور لم يكن سعيدًا بالفعل، فهم يعتقدون إن كل من ينضم إلى الأمة الإسلامية هو عنصري ويكون خيبة أمل على بلاده ، فكانوا غاضبون جدًّا.

وظلوا ينادونه باسم كاسيوس كلاي، فالكثير من الأشخاص يعتقدون أن الديانة الإسلامية هي السبب في تحرير العبيد السود، إلا أن بدأوا أن يعتادوا على الاسم الجديد له، وهو محمد علي كلاي.

وفي قمة انتصاراته في عالم الملاكمة تم سحب اللقب منه في عام ١٩٦٧م بسبب رفضه الالتحاق بالخدمة العسكرية في جيش الولايات المتحدة في أثناء حرب فيتنام اعتراضًا منه على الحرب.

في يونيو عام ١٩٦٧، حوكم محمد علي، وأدين بالتهرب من الخدمة العسكرية، وتم تغريمه ١٠,٠٠٠ دولار، وحُكم عليه بالسجن لمدة خمس سنوات، واستطاع أن يطلق سراحه بكفالة، ولكن كان هناك الكثير من الغضب الشعبي الذي حظر محمد علي كلاي، ومنعه من الملاكمة بل وجرده أيضًا من لقبه في الوزن الثقيل، فقد رأى الكثير من الأشخاص أن محمد علي مراوغًا.

وتعليقًا على رفضه للحرب: "هذه الحرب ضد تعاليم القرآن, وإننا - كمسلمين - ليس من المفترض أن نخوض حروبًا إلا إذا كانت في سبيل الله ورسوله. كما أعلن في عام ١٩٦٦: "لن أحاربهم - قاصدًا فيت كونج الجيش الشيوعى في فيتنام - فهم لم يلقبونني بالزنجي".

وفي عام ١٩٧٠، أمرت المحكمة العليا في ولاية نيويورك أن يستعيد محمد علي رخصة الملاكمة من جديد، وفي السنة التالية ألغت المحكمة العليا إدانته من أي شئ نُسب إليه، وهذا كان قرارًا بالإجماع .

هذا الملاكم الشهير حياته مليئة بالإثارة مما جعله واحدًا من الملاكمين الأكثر شهرة في كل العصور، فاعتناقه الإسلام، وقناعته بضرورة رفضه للخدمة العسكرية، ومنعه من الملاكمة مدة تصل إلى ثلاث سنوات، ولكن بالرغم من كل ذلك فإنه لم يتوقف أو يستسلم.

تعجبت كثيرًا وأنا أقرأ قصة هذه الأيقونة العالمية التي أبهرت العالم بإصراره وصبره. على هذه الرياضة العنيفة والمرهقة، إذ تعد الملاكمة من أكثر الرياضات إجهادًا وإيلامًا وأكثر خطورة على حياة ممارسها. وتعجبت أكثر من هذا الشرطي عندما رد عليه بهذه الكلمات الباردة وهو يستشيط غضبًا بسبب سرقة دراجته، ولم يكن يعلم أنه بهذه الكلمات الباردة برغم قساوتها قد أشعلت نارًا لا يخمد أوارها داخل قلب هذا الشاب اليافع، وتعجبت أكثر من طريقة تلقي محمد على لهذه الكلمات ووقعها عليه، وكيف أنها كانت سببًا لأن يفكر بطريقة استثنائية

في رياضة الملاكمة ليسجل اسمه بعد ذلك في سجل قل أن ينساه الناس يومًا. ولاينقصي العجب من هذه القصة إذا كيف استثمر هذا الشاب هذه الواقعة المأساوية بالنسبة إليه في حينها، لتكون سببًا في حرف مساره لاتجاه يجيد الخوض فيه.

كم تمر علينا في اليوم والليلة من مواقف مشابهة؟ وربما أقل قسوة من قصة محمد علي وربما أكثر، وكم نستفيد منها، ونوظفها لصالحنا؟

يقول الباحث زاهد بخاري - وهو زميل في مركز التفاهم الإسلامي المسيحي بجامعة جورج تاون -: "إنه إذا طُلب من المسلمين في جميع أنحاء العالم أن يذكروا أسماء أكثر خمس شخصيات إسلامية محبوبة في القرن الـ٢٠، فإنني واثق من أن هناك شخصيتين ستكونان ضمن الخمس: وهما محمد علي، ومالكولم إكس". ومن مفارقات الأقدار أن مالكولم إكس هو الذي أقنع محمد علي بالتعرف على جماعة أمة الإسلام، وحبَّبه في الدين الجديد.

كم نحتاج في كثير من الأحيان لنعيد قراءة المواقف التي تمر علينا كل يوم، ونعيد توظيفها واستخدامها بما يعود علينا بفهم جديد أو توظيف أكثر نفعًا، فمن يدري ربما بهذه الميزة الاستثنائية نصبح أيقونات في هذا العالم!!

خاطرة:

ما أجمل قول المتنبي:

وكل امرئ يولي الجميل محبب   وكل مكان ينبت العز طيب

المصادر:

١- /http://islamstory.com/ar

٢ - الموقع الشخصي للملاكم محمد علي

٣ - مقال باسم محمد علي كلاي شخصية القرن الرياضية

العظماء حقًّا هم فقط الخيِّرون حقًّا

لم يتغير، كما الذهب تزيده وطأة الطقس العام بريقًا وألقًا، فلا يزال يستقبل مريضه عند عتبة باب العيادة، ويفتح له الباب بنفسه، وبعد التشخيص وصرف الدواء يرافقه إلى عتبة الباب نفسها، ليستقبل مريضًا آخر هاشًّا، باشًّا، مرددًا: كيف أنتِ خالتي؟ ما حالكِ عمتي؟، ما أخبارَك يا أخي؟، كيف صحتكَ يا ولدي؟ ابنتي، كيف صحتك هذا النهار؟، هكذا لغته، ترحاب بمرضاه، لا يكلّ، ولا يملّ، ولا يتجهم، ولا يبدي ضيقًا ولا ضجرًا بالزحام، وابتسامته دومًا تسبق كلمات الترحاب!

لم يتغير، ولا يزال تشخيص الداء عنده (بلا مقابل)، وكذلك صرف الدواء، ولا يكتفي بهذا وذاك، بل كثيرًا ما يرسم في كراسة المريض (نجمة) أو (نجمتين)، فهما الشفرتان اللتان لا يفهمهما إلا العامل المهذب في استقبال عيادته، فالنجمة تعني أن المريض من ذوي الأسر العفيفة، وفي حاجة إلى (دواء مجاني)، أما النجمتان فتعنيان أن المريض من ذوي الأسر الأكثر عفةً، وفي حاجة إلى دواء مجاني وكذلك إلى (المقابل الخاص بالمواصلات!!).

وعلى الرغم من ارتفاع ميزانية مواصلات مرضاه إلى ألف وسبع مئة جنيه أسبوعيًّا، فلا يزال يدفعها عن طيب خاطر، ويودعهم منبهًا: «أخي، لا تنسَ أخذ الدواء في موعده، وأذكرك بموعد المقابلة»! وعلى الرغم من ارتفاع ميزانية أدوية مرضاه إلى عشرين ألف جنيه أسبوعيًّا، فلا يزال حريصًا على توفيرها، يذهب فجرًا إلى المستشفى العام، ثم يعود عصرًا إلى عيادته الخاصة بالموردة، ثم يوم الجمعة من كل أسبوع - من الثالثة عصرًا حتى موعد أذان فجر السبت - يهبه فقراء بلدته بعيادة بانت بأم درمان بالسودان، ويكون عائد عيادة الموردة الخاصة هذه عائدًا لهؤلاء الفقراء (تشخيصًا وأدوية وتوصيلًا).

لم يتغير، هنا – في عيادته ببانت - للحياة معانٍ سامية، وللسهر حتى الفجر (طعم الشهد) يدخلها بعد صلاة الجمعة، ويغادرها مع أذان فجر السبت، ويكون قد استقبل مع كادره الطبي - ٥ إخصائيين، و٧ نواب، و٦ طلاب طب - أكثر من (٢٠٠ مريض) بسطاء كما السواد الأعظم من أهل السودان، عندما تصيبهم أمراض المخ والأعصاب، يأتون من كل ولايات السودان، يشخص مرضهم لوجه الله، ويصرف لهم أدويتهم لوجه الله، ثم لوجه الله يصرف للسواد الأعظم من المرضى (حق التاكسي والأمجاد)، بحسب الحالة الاقتصادية الموثقة في (كراساتهم): عفوًا، ليس بالدواء وجنيهات المواصلات، بل يخرج مريضه أيضًا بإرشادات طبية، ورقم هاتفه الشخصي مطبوعًا في مغلف التعريف بالمريض، لا ينسى تنبيه المريض: «لو أحسست بأي شيء هذا رقم هاتفي، وإذا لم يكن لديك رصيد للمحادثة فأرسل لي رسالة قل فيها: «اللهم، صلِّ وسلم على سيدنا محمد»، فأنا سوف أعاود الاتصال بك مباشرة، ويلتفت إليَّ ضاحكًا: «أنت لا تزعجني»، ثم ينتبه إلى الوقت، فإذا هو الثالثة فجرًا، يسألني قبل جلوس مريضه باللهجة السودانية الممتعة: «يا زول، المقعدك شنو؟ نحن أصلًا ناس سهر!!» لم تتغير هذه الأيقونة الملهمة، بل إنه غرس خيره وحبه للخير في نفوس الآخرين ومن يعمل معه.

هذا أبو القاسم، أحد جيران عيادته، شعر بتعب مرضاه وإرهاقهم، وهم في انتظار دورهم، فاشترى ١٠ أسِرَّة بمراتبها وملاءاتها ومخداتها، وجلبها إلى حوش العيادة؛ ليرتاح عليها كبار السن، أو لينام عليها القادم من المسافات البعيدة لحين ضياء الفجر، وهذا الفاضل الجار الآخر، ينتظر مساء الجمعة من كل أسبوع بصبر جميل؛ ليجلب الطعام والشراب للمرضى والمرافقين بكل حب، هكذا وبكل تلقائية وعفوية يغرس بذور الخير في النفوس، حيث صار جيران العيادة يشكلون معه فريق العمل.

نسأله: «يا دكتور، بأي شيء نساعدك؟»، فيردّ مبتسمًا: «بصالح الدعوات» ونضحك، ثم نكرر السؤال، فيردّ مشيرًا إلى زحام المرضى: «ساعدوني في أن نمشي لهؤلاء الناس في ولاياتهم»، ثم يسترسل: «والله ظروفهم صعبة، نحن ليس لدينا مانع نكون كل جمعة في ولاية، بدل تكبدهم عناء السفر، ويأتون إلى هنا، فكّروا معي كيف ننفذ هذه الفكرة، كلموا الولاة والمسؤولين يتصلون، وينسقون معنا، لا نريد منهم شيئًا غير الترحيل ومكانًا للعمل وإعلان يوم عملنا، بهذا نكون وفرنا لهم (قريشاتهم) وخففنا تعبهم، المسألة هذه في غاية الصعوبة؟».

بقي أن تعرف عزيزي القارئ، أن هذه الأيقونة هو البروفيسور أبشر حسين محمد أحمد، استشاري المخ والأعصاب الذي يُعدّ من أفضل أطباء الباطنة والمخ والأعصاب في السودان والحاصل على الترتيب ٣٧ في التصنيف العالمي في التخصص المذكور، وقد أشرف على ٨٤ رسالة دكتوراه، وله ما لا يقل عن ١١٣ بحثًا ومقالًا وورقة علمية متخصصة في مجال الصرع والشلل الرعاش والأمراض المرتبطة بهما، وله مؤلفات منها (الجمع بين الطب والفقه)، فلا يراودني الشك أبدًا في أن أمثلة الدكتور أبشر كثيرة في أمتنا وأمم أخرى، ونحن ذكرناه هنا، ونشدّ على يديه وعلى أيدي أمثاله ليكون نبراسًا ودرسًا ملهمًا للأجيال، في زمن عزّ فيه المثل والقدوة إلا من رحم الله. شكراً لك يا دكتور، وقبلة على جبينك وعلى جبين كل الخيرين في عيادة بانت الخيرية، وهم يعضون بالنواجذ على قيم هذا الدين العظيم، في زمن توحشت فيه سطوة

المال، وتوغلت الأنانية وحب الذات، والبخل بالمعلومة إلا بمقابل لها، بل تعدى ذلك للكذب والتدليس وخيانة الأمانة للمهنة العلمية الشريفة مقابل لعاعة من الدنيا.

تذكرت، وأنا أسرد هذه القصة قول الله جل في علاه: (كُلًّا نُمِدُّ هَؤُلَاءِ وَهَؤُلَاءِ مِنْ عَطَاءِ رَبِّكَ وَمَا كَانَ عَطَاءُ رَبِّكَ مَحْظُورًا) الإسراء: ٢٠.

وأتذكر أيضًا قول المصطفى صلى الله عليه وسلم: «إِنَّ اللَّهَ وَمَلائِكَتَهُ وَأَهْلَ السَّمَاوَاتِ وَالأَرْضِ حَتَّى النَّمْلَةَ فِي جُحْرِهَا وَحَتَّى الْحُوتَ لَيُصَلُّونَ عَلَى مُعَلِّمِ النَّاسِ الْخَيْرَ». أخرجه الطبراني (٢٣٣/٨، رقم ٧٩١١). أسأل الله أن يجعلني وإياكم منهم.

وتمرّ في خاطري المقولة الشهيرة للكاتب والمسرحي والشاعر الإنجليزي جورج شابمان: «العظماء حقًّا هم فقط الخيِّرون حقًّا».

المصادر:

http://www.eqtibas.com

https://mobile.facebook.com/110598645625295/photos/a.1007438995941251.1073741947.110598645625295100744/3759274108/?type=1

ماذا كنت ستفعل لو كنت مكانه؟

دخل رجل إلى أحد فروع الهايبر ماركت Tesco البريطانية الشهيرة والمنتشرة في ماليزيا، واشترى مشروبات وفواكه تعادل سبعة دولارات أمريكية، وحاول الخروج بها خلسة، فاقترب منه (رضوان) مدير الفرع، حيث كان يتابعه مع الأمن على شاشات كاميرات المراقبة، فأسقط الرجل ما في يديه، واعترف فورًا بأنه كان ينوي سرقتها بالفعل، فهدّأ رضوان من روعه، وطلب منه معرفة السبب الذي دفعه إلى ذلك، فقال الرجل: إنه ترك عمله منذ مدة لرعاية زوجته وأولاده الثلاثة، إذ كانت زوجته قد أنجبت حديثًا، وأصيبت بغيبوبة كاملة بعد الولادة، فاستبقى (رضوان) الرجل في المحل، وذهب مع أحد أفراد الأمن إلى منزل الرجل ليتأكد من صدق روايته، فلما تأكد من ذلك عاد إلى المحل، وأعطاه الأشياء التي كان ينوي سرقتها، ومنحه مبلغًا من المال، وعرض عليه وظيفة في الهايبر ماركت، وتكفلت الشركة بنفقات التحاق أطفاله بالمدرسة!

القصة برمّتها هزت ماليزيا في الأيام القليلة التي تلت الحادثة حتى وصل صداها إلى مقر شركة Tesco الرئيس في بريطانيا، ونشرتها وكالات الأنباء العالمية!

انظر إلى فعل (رضوان) ذاك المدير الشاب، فلو سلّم الرجل للشرطة، لكان أمرًا عاديًّا، فكثير من المحالّ التجارية تحبط من يقومون بالسرقة، وتلزمهم بالدفع ومقاضاتهم أمام المحاكم مددًا تطول، وتقصر بحسب أنظمة الدول وقوانينها، أما (رضوان) فقد قرر أن يسلك مسلكًا مختلفًا بدافع الرحمة والشفقة، وبذلك فتح طريقًا جديدًا للتوبة لذاك الرجل، وبلغت شهرة (رضوان) نفسه آفاقًا رحبة غير متوقعة، فالرحمة قبل العدل، والرحمة تفتح أبواب الرجاء والأمل، وتبعث على صالح العمل، وثمار الرحمة أكثر وفرة ونتاجًا من نتاج العدل، وإن كان لا غنى عنهما معًا، وتفتح لنا آفاقًا جديدة في مراجعة قراراتنا في كثير من السلوكيات التي تمر علينا بشكل شبه يومي، ويختلف حدها وآثارها من موقف لآخر، فلنجربْ أن نغيّر من طريقة تعاطينا مع ما نتعرض له من مواقف، وإني على ثقة كبيرة بأن النتائج ستكون استثنائية بكل الأبعاد، شكرًا لك (رضوان) على هذا العطاء والإلهام والمنح.

تذكرت، وأنا أقرأ هذه القصة على الرغم من ندرتها في السلوك البشري، إلا من رحم الله، قول الحق تبارك وتعالى: (وَمِمَّنْ خَلَقْنَا أُمَّةٌ يَهْدُونَ بِالْحَقِّ وَبِهِ يَعْدِلُونَ) الأعراف:١٨١.

وأتذكر أيضًا إرشاد المصطفى صلى الله عليه وسلم لنا وهو يمارسه بشكل يومي كما نقلت لنا ذلك كتب السيرة المتعددة، حتى أصبح خلقًا له، وذلك بقوله في الحديث الصحيح: «إن الله رفيق يحب الرفق في الأمر كله». أخرجه البخاري (رقم ٦٩٢٧) ومسلم (رقم ٢١٦٥).

خاطرة:

كما علق بذهني قول الأديب اللبناني الشهير جبران خليل جبران: (إن لم يجرِ بينكم التبادل بالحب والعدل، شرهت فيكم نفوس، وجاعت أخرى.

سفر الحب عش اللحظة بكل تفاصيلها

توفي «ستيف جوبز» مؤسس شركة (أبل) للبرمجيات، بعد صراع طويل مع مرض السرطان وترك وراءه عند رحيله شركة بلغت قيمتها السوقية ٧٠٠ مليار دولار أمريكي وهي أغلى شركة في التاريخ.

إقرأ ما كتبه "ستيف جوبز" وهو على فراش المرض قبل وفاته بأيام.

"لقد وصلتُ لِقِمَّةِ النجاح في الأعمال التجارية.. في عيون الآخرين، حياتي كانت رمزًا للنجاح، ومع ذلك، وبصرف النظر عن العمل، كان لدي القليل من الوقت للفرح. وأخيرًا، في النهاية ثروتي هي مجرد حقيقة أنا معتاد عليها.

في هذا الوقت، وأنا ممدد على سريري في المستشفى أتذكر حياتي الطويلة، أدرك أن جميع الجوائز والثروات التي كنت فخورًا جدًّا بها أصبحت ضئيلة و غير ذات معنىً مع اقتراب الموت الوشيك.

في هذا الظلام، وعندما أنظر إلى الأضواء الخضراء لمعدات التنفس الاصطناعي وأنصت لأصواتها الميكانيكية، أشعر بِنَفَسِ الموت يقترب مني.

الآن فقط أفهم بعد أن أمضيت حياةً محاولاً جمع ما يكفي من المال لبقية حياتي، أن لدينا ما يكفي من الوقت لتحقيق أهداف لا تتعلق بالثروة فقط.

يجب أن تكون أهدافنا أكثر أهمية، على سبيل المثال، قصص الحب، والفن، وأحلام الطفولة. عدم التوقف عن ملاحقة ثروة يمكن أن يجعل منك مجرد شخص منهك أو كائن آلي.

نحن كائنات يمكن أن تشعر بالحب. الحب كامن في قلب كل واحد منا، ومصيرنا يجب أن لا يكون فقط الجري وراء الأوهام التي تبنيها الشهرة أو المال الذي أفنيت من أجلهما حياتي، ولا يمكنني أن آخذهما معي الآن.

لا يمكنني أن آخذ معي إلا الذكريات التي تَعَزَّزَتْ بالحب.

هذه هي الثروة الحقيقية التي سوف تتبعك. وسوف ترافقك، وستعطيك القوة والضوء للمضي قدمًا وإلى الأمام.

الحب يمكن أن يسافر آلاف الأميال وهكذا تصبح الحياة لا حدود لها.

انتقل إلى حيث تريد أن تذهب. إسْعَ للوصول للأهداف التي تريد تحقيقها. كل شيء كامن في قلبك ويديك.

ما هو أغلى سرير في العالم؟

إنه سرير المستشفى.

إذا كان لديك المال، يمكنك استئجار شخص لقيادة سيارتك، ولكن لا يمكنك استئجار شخص لِحَمْلِ مرضك وآلامك بدلاً عنك.

يمكن العثور على الأشياء المادية المفقودة مَهْمَا غَلَى ثمنها. ولكن هناك شيء واحد لا يمكنك أن تجده أبدًا عندما ستفقده: إنه "الحياة".

مهما كانت المرحلة التي نعيشها من مراحل حياتنا، سَنَضْطَرُّ في النهاية لمواجهة اليوم الذي سيسدل فيه الستار.

إجمع كنزك من حب عائلتك، من حب زوجتكَ أو زوجكِ، من حب أصدقائك. اعتن بنفسك جيدًا واهتم بأقربائك. كن عطوفًا وكريمًا وحليمًا مع الآخرين، فلا تدري كم من الوقت بقي لك.

تذكرت وأنا أقراء هذه القصة قول الحق تبارك وتعالى: ﴿ٱعْلَمُوٓا۟ أَنَّمَا ٱلْحَيَوٰةُ ٱلدُّنْيَا لَعِبٌ وَلَهْوٌ وَزِينَةٌ وَتَفَاخُرٌۢ بَيْنَكُمْ وَتَكَاثُرٌ فِى ٱلْأَمْوَٰلِ وَٱلْأَوْلَٰدِ ۖ كَمَثَلِ غَيْثٍ أَعْجَبَ ٱلْكُفَّارَ نَبَاتُهُۥ ثُمَّ يَهِيجُ فَتَرَىٰهُ مُصْفَرًّا ثُمَّ يَكُونُ حُطَٰمًا ۖ وَفِى ٱلْءَاخِرَةِ عَذَابٌ شَدِيدٌ وَمَغْفِرَةٌ مِّنَ ٱللَّهِ وَرِضْوَٰنٌ ۚ وَمَا ٱلْحَيَوٰةُ ٱلدُّنْيَآ إِلَّا مَتَٰعُ ٱلْغُرُورِ﴾ سورة الحديد الأية : ٢٠.

وتذكرت أيضًا حديث الدنيا الذي يرويه الصحابي الجليل عبدالله بن مَسْعُودٍ رضي الله عنه، قال: نَامَ رسولُ اللَّه صَلّى اللهُ عَلَيْهِ وسَلَّم على حَصيرٍ فَقَامَ وَقَدْ أَثَّرَ في جَنْبِهِ، قُلْنَا: يا رَسُولَ اللَّه لو اتَّخَذْنَا لكَ وِطَاءً، فقال: «مَا لي وَلَلدُّنيَا؟ مَا نَا في الدُّنْيَا إلاَّ كَرَاكبٍ اسْتَظَلَّ تَحْتَ شَجَرَةٍ ثُمَّ رَاحَ وَتَرَكَهَا» رواه الترمذي وقال: حديث حسن صحيح

وكذلك المقولة الشهيرة لعبدالله بن المقفع (طالب الدنيا كشارب ماء البحر، كلما زاد شرباً ازداد عطشًا).

شخصية مبادرة

في إحدى أمسيات شهر ديسمبر عام ١٩٥٥ الباردة جمعت (روزا باركس) ذات البشرة السمراء التي تعمل خياطة حاجاتها، وتجهزت للعودة إلى بيتها بعد يوم من العمل الشاق المضني، مشت روزا في الشارع تحتضن حقيبتها مستمدة منها بعض الدفء اللذيذ.

التفتت (روزا) يمنة ويسرة، ثم عبرت الطريق، ووقفت تنتظر الحافلة؛ كي تقلّها إلى وجهتها، وفي أثناء وقوفها الذي استمر عشر دقائق كانت تشاهد في ألم منظرًا مألوفًا في أمريكا آنذاك، وهو قيام الرجل الأسود من كرسيه؛ ليجلس مكانه رجل أبيض.

لم يكن هذا السلوك وقتها نابعًا من روح أخوية، أو لمسة حضارية، بل إن القانون الأمريكي آنذاك كان يمنع منعًا باتًّا جلوس الرجل الأسود، وسيده الأبيض واقف، حتى إن كانت الجالسة امرأة سوداء عجوزًا، وكان الواقف شابًّا أبيض في عنفوان شبابه، فتلك مخالفة تُغرم عليها المرأة العجوز.

وكان مشهورًا وقتها أن تجد لوحة معلّقة على باب أحد المحالّ التجارية أو المطاعم مكتوبًا عليها: (ممنوع دخول القطط والكلاب والرجل الأسود).

كل تلك الممارسات العنصرية كانت تصيب (روزا) بحالة من الحزن والألم والغضب، فإلى متى يعاملون على هذا النحو من الدونية وقلة المكانة؟!

لماذا يُحقرون، ويُزدرون، ويكونون دائمًا في آخر الصفوف، ويصنفون مع الحيوانات؟

وعندما وقفت الحافلة استقلّتها (روزا)، وقد أبرمت في صدرها أمرًا.

قلّبت بصرها يمنة ويسرة، فما أن وجدت مقعدًا خاليًا، حتى ارتمت عليه، وقد ضمّت حقيبتها إلى صدرها، وجلست تراقب الطريق الذي تأكله الحافلة في هدوء، إلى أن جاءت المحطة المقبلة، وصعد الركاب، وإذا بالحافلة ممتلئة، وبهدوء اتجه رجل أبيض إلى حيث تجلس (روزا) منتظرًا أن تفسح له المجال، لكنها ويا للعجب نظرت إليه غير مبالية، وعادت لتطالع الطريق مرة أخرى!

ثارت ثائرة الرجل الأبيض، وأخذ الركاب البيض يسبون (روزا) ويتوعدونها إن لم تقم من فورها، وتجلس الرجل الأبيض الواقف.

لكنها أبت، وأصرت على موقفها، فما كان من سائق الحافلة أمام هذا الخرق الواضح للقانون إلا أن يتجه مباشرة إلى الشرطة؛ كي تحقق مع تلك المرأة السوداء التي أزعجت السادة البيض!

وبالفعل تمّ التحقيق معها وتغريمها خمسة عشر دولارًا، نظير تعدّيها على حقوق الآخرين.

وهنا انطلقت الشرارة في سماء أمريكا، فثارت ثائرة السود في جميع الولايات، وقرّروا مقاطعة وسائل المواصلات، والمطالبة بحقوقهم بوصفهم بشرًا، لهم حق الحياة والمعاملة الكريمة.

استمرت حالة الغليان مدة طويلة، امتدت إلى ٣٨١ يومًا، وأصابت أمريكا بصداع مزمن.

وفي النهاية خرجت المحكمة بحكمها الذي نصر (روزا باركس) في محنتها، وتمّ إلغاء ذلك العرف الجائر وكثير من الأعراف والقوانين العنصرية.

وفي ٢٧ أكتوبر عام ٢٠٠١، بعد مرور ٤٦ سنة على هذه الحادثة، تمّ إحياء ذكراها في التاريخ الأمريكي، حيث أعلن السيد ستيف هامب، مدير متحف هنري فورد في مدينة ديربورن في ميتشيجن عن شراء الحافلة القديمة المهترئة من موديل الأربعينيات التي وقعت فيها حادثة السيدة (روزا باركس) التي قدحت الزناد الذي دفع حركة الحقوق المدنية في أمريكا للاستيقاظ، بحيث تعدَّل وضع السود.

وقد تمّ شراء الحافلة بمبلغ ٤٩٢ ألف دولار أمريكي. وبعد أن بلغت (روزا باركس) الثمانين من العمر، تذكر في كتاب صدر لها لاحقًا بعنوان «القوة الهادئة» عام ١٩٩٤ بعض ما اعتمل في مشاعرها آنذاك، فتقول: «في ذلك اليوم تذكرت أجدادي وآبائي، والتجأت إلى الله، فأعطاني القوة التي يمنحها المستضعفين».

وفي ٢٤ أكتوبر عام ٢٠٠٥ احتشد الآلاف من المشيعين الذين تجمعوا للمشاركة في جنازة (روزا باركس) رائدة الحقوق المدنية الأمريكية التي توفيت عن عمر يناهز ٩٢ عامًا.

يوم بكى فيه الآلاف، وحضره رؤساء دول، ونكّس فيه علم أمريكا، وتمّ تكريمها بأن رقد جثمانها في أحد مباني الكونجرس، وهو إجراء تكريمي لا يحظى به سوى الرؤساء والوجوه البارزة.

ولم يحظَ بهذا الإجراء سوى ٣٠ شخصًا منذ عام ١٨٥٢، ولم يكن منهم امرأة واحدة.

ماتت (روزا) وعلى صدرها أعلى الأوسمة، فقد حصلت على الوسام الرئاسي للحرية عام ١٩٩٦، والوسام الذهبي للكونجرس عام ١٩٩٩، وهو أعلى تكريم مدني في البلاد. وفوق هذا وسام الحرية الذي أهدته لكل بني جنسها عبر كلمة: (لا) أشهر (لا) في تاريخ أمريكا.

تدبر: كل حدث تاريخي جلل، وكل موقف كبير مشرف، كان وراءه شخصية مبادرة تؤمن بقدرتها على قهر ما اصطلح الناس على تسميته (المستحيل)، فكيف يصبح المرء منا شخصية مبادرة؟ كيف يمكن أن نصنع بأيدنا العالم الذي نحيا فيه؟

فَشَرِبوا مِنهُ إلّا قَليلاً مِنهُم

أتذكر عندما كنت في العاشرة من عمري كنا نتنافس أنا وأقراني من أبناء الحارة في شهر رمضان على ختم القرآن مرات عدة، خصوصًا أنه لم يكن وقتها ثمة دراسة أو غيرها من الملهيات والشواغل كما هو حال أولادنا اليوم، وكنت عندما أمرّ على آية طالوت، التي تتحدث عن اختيار الله له ملكًا على بنى إسرائيل نزولًا على رغبتهم، كنت أتعجب من جبروت هذا الملك وظلمه وشدة بأسه، إذ كيف يمنع جيشًا لم يذق الماء منذ ثلاثة أيام من أن يشرب، أو يرتوي من نهر بارد ماؤه عذب شرابه، وهو الجيش الذي سيقابل جيشًا شديد القوة والبأس بعد اجتيازهم النهر، أصدقكم القول: إنني كنت أقفز هذه الآيات عندما أصل إليها؛ نظرًا لعدم قدرة النفس الضعيفة على تصور هذا المنظر وتحمل هذه القسوة والشدة في التعامل، مع أن الله ذكر أنه زاده بسطة في العلم والجسم، فكيف يكون هذا حال من زاده الله من العلم؟

وعندما كبرت، وتمعنت أكثر في مدلولات كلمات الله - عز وجل - لعباده أدركت أن وراء ذلك سرًّا عجيبًا، يجب البحث عنه وتقصي مكنونات هذا التصرف الغريب، الذي يبدو للوهلة الأولى، ثم ما لبثت أن أدركت أنه عندما تكون قائدًا، فإنك ما تلبث أن ترى الأمر بمنظور مختلف تمامًا، فقد كان مطلوبًا من هذا القائد أن يفرز جيشه ويصنفه؛ ليرى من يطيعه وممن سيعصيه؛ إذ إن من يعصيه في شربة ماء من المؤكد أنه سيعصيه، عندما يحتدم القتال، ويرى الموت، والأمر الآخر الذي يجب على القائد العمل عليه هو التأكد من العدد الذي سيُعتمَد عليه في المعركة بعد الفرز، فتُبنَى خطة المعركة على أساس ذلك، والأمر الثالث وهو الأهم أن هزيمة النفس وشهواتها ولجمها عن مبتغاها هو باب للنصر على مصراعيه، فلا يمكن لجيش لا يستطيع لجم رغبته عن شربة ماء على الرغم من حاجته إليها أن ينتصر على عدو، وأن يثبت عند اللقاء والتحام الصفوف، والأمر الآخر الذي تعلمنا إياه هذه القصة العظيمة هو أنه يكفي أن يكون في الجيش عدد قليل يؤمنون بما يقوله قائدهم ليحقق الله لهم النصر على عدوهم: (فَشَرِبُوا مِنْهُ إِلَّا قَلِيلًا مِنْهُمْ) البقرة:٢٤٩ وهم الذين ثبتوا عند اللقاء: (قَالَ الَّذِينَ يَظُنُّونَ أَنَّهُمْ مُلَاقُو اللَّهِ كَمْ مِنْ فِئَةٍ قَلِيلَةٍ غَلَبَتْ فِئَةً كَثِيرَةً بِإِذْنِ اللَّهِ وَاللَّهُ مَعَ الصَّابِرِينَ) بينما من شربوا، وأسرفوا على أنفسهم قالوا: (لَا طَاقَةَ لَنَا الْيَوْمَ بِجَالُوتَ وَجُنُودِهِ) وعندما أدركت هذا المعنى - على فرض صحته - أصبحت أقرأ هذه الآيات الكريمة بمتعة مختلفة تمامًا وبتحليل أعمق لمعنى القسوة (الشدة) والفرق بينها وبين ترويض النفس وفرز الناس: (لِيَمِيزَ اللَّهُ الْخَبِيثَ مِنَ الطَّيِّبِ) ٣٧.

وتؤكد كثير من الدراسات الاجتماعية والنفسية والسلوكية أن تحقيق النصر والنجاح في أي عمل يبدأ من الداخل، وليس من الخارج، ويبدأ بترويض النفس ولجمها عن كثير من مشتهاياتها، خصوصًا اليوم الذي تكالبت علينا فيه المشغلات والملهيات من كل حدب وصوب.

يقول الحق تبارك وتعالى مفصلًا هذا الموقف العظيم: (فَلَمَّا فَصَلَ طَالُوتُ بِالْجُنُودِ قَالَ إِنَّ اللَّهَ مُبْتَلِيكُمْ بِنَهَرٍ فَمَنْ شَرِبَ مِنْهُ فَلَيْسَ مِنِّي وَمَنْ لَمْ يَطْعَمْهُ فَإِنَّهُ مِنِّي إِلَّا مَنِ اغْتَرَفَ غُرْفَةً بِيَدِهِ فَشَرِبُوا مِنْهُ إِلَّا قَلِيلًا مِنْهُمْ فَلَمَّا جَاوَزَهُ هُوَ وَالَّذِينَ آمَنُوا مَعَهُ قَالُوا لَا طَاقَةَ لَنَا الْيَوْمَ بِجَالُوتَ وَجُنُودِهِ قَالَ الَّذِينَ يَظُنُّونَ أَنَّهُمْ مُلَاقُو اللَّهِ كَمْ مِنْ فِئَةٍ قَلِيلَةٍ غَلَبَتْ فِئَةً كَثِيرَةً بِإِذْنِ اللَّهِ وَاللَّهُ مَعَ الصَّابِرِينَ) البقرة: ٢٤٩

وفي الحديث الذي رواه ابن النجار عن أبي ذر - رضي الله عنه - أن رسول اللّه صلى اللّه عليه وسلم قال: (أفضل الجهاد أن يجاهد الرجل نفسه وهواه) صححه الألباني في صحيح الجامع (رقم ١٠٩٩).

أتذكر، وأنا في هذا المقام بعض أشهر ما قيل في هذا الفن للإمام الجليل أبي سليمان الداراني: «أفضل الأعمال خِلاف هوى النفس».

وكذلك المقولة الشهيرة للفيلسوف والرياضي الإغريقي فيثاغورس: «ليس حرًّا من لم يَسُد إمبراطورية نفسه».

حكمة:

«القوي من حكم غيره، والعظيم من حكم نفسه».

لاوتسي

وأقرب رحما

كم من نعمة ولدت من رحم المعاناة؟

وكم من نعيم جاء من زفرة الألم؟

وكم من هبات وفضائل وجدت في منع أو حرمان؟

وكم من عطاء ومنح تتأتى للعبد بعد أن يظن أنه قد هلك بما حل به وأصابه.

ترددت كثيرًا قبل كتابة هذه الأسطر، لأنني لست فقيهًا ولا محدثًا ولا مفسرًا، ولا أدعي هذا الشرف، ولكنها فكرة ألحت عليَّ مدة من الزمن، فآليت على نفسي كتابتها، ربما يستفيد من حكمتها أحدنا، ويعيد ترتيب حساباته، وطريقة تفكيره في التعاطي مع الأحداث والأقدار، التي تمر به كل حين، وذلك عندما أمعنت النظر في ما ختم الله سبحانه وتعالى آية كريمة من آيات كتابه العزيز بـ(الرحمة القريبة) جدًّا، متى كان ذلك؟ كان بعد مصيبة ومشهد دامي، يحبس الأنفاس، ويشيب لهوله رأس الوليد! تمثل ذلك بأكبر جريمة، أثمت فيها يد إنسان يومًا،(حسب ما نظن)، ألا وهي ذبح ابن أمام ناظري أمه، عمل استعصى إدراكه وفهم أبعاده على كليم الله ونبيه موسى عليه السلام، لينطلق بعدها بتعنيف الخضر وتأنيبه ولومه بما تحمله كل نفس بشرية سوية لهذا الفعل الآثم! (لَقَدْ جِئْتَ شَيْئًا نُكْرًا)(٧٤ الكهف)، لينجلي الأمر بعدها بآيات قليلة وقريبة جدًّا: (فَأَرَدْنَا أَنْ يُبْدِلَهُمَا رَبُّهُمَا خَيْرًا مِنْهُ زَكَاةً وَأَقْرَبَ رُحْمًا) (٨١ الكهف).

قد يستعصي علينا فهم كثير من الأحداث، التي تقع حولنا، سواء لنا أو لغيرنا، دون أن نجد لها تفسيرًا أو تحليلاً آنيًا، يهدئ ثائرة النفس حولها، ولكن سرعان ما تجد حكمة الله ورحمته ورأفته داخلة في طيات هذه الأحداث بكل أبعادها وتفاصيلها.

ماذا وجدت هاجر بعد ما تركت في وادٍ غير ذي زرع؟

وماذا أدركت أم موسى بعدما ضاقت حيلتها بفقد ابنها، وفرغ قلبها من كل شيء إلا منه؟

وماذا حدث لنبي الله يوسف بعد كل التآمر الذي حدث له؟

وماذا حدث لنبي الله يعقوب بعد كل ما جرى له من الألم والمعاناة بفقد أبنائه واحدًا تلو الآخر.

وماذا حدث لخير البشر صلى الله عليه وسلم، بعدما دميت عقباه الشريفتان؟

قصص وأحداث وعبر لا تنتهي في كتاب الله وسنة نبيه صلى الله عليه وسلم، وتزخر بها أمهات كتب التراث وبناته، تروي لنا حسن العاقبة والمآل بعد عواصف الألم والمعاناة، وشدة الحياة، لتأتي بعد ذلك نفحات الرحمة الإلهية التي لا تنتهي، في دروس عظيمة، تلهمنا وتعلمنا، كيف تكون الرحمة قريبة من العبد أقرب من إليه من حبل الوريد، وتأتي إليه في أحلك مراحل معاناته ألمًا وأشدها بأسًا.

كم من نعمة ولدت من رحم المعاناة؟

وكم من نعيم جاء من زفرة الألم؟

وكم من هبات وفضائل وجدت في منع أو حرمان؟

وكم من عطاء ومنح تتأتى للعبد بعد أن يظن أنه قد هلك بما حل به وأصابه.

أعد ترتيب أوراقك وحساباتك، وارجع بالذاكرة قليلاً، لتدرك حجم العطايا، التي أجزلت لك بعد كل ابتلاء، ستدهش حقًّا من رحمة أرحم الراحمين ولطفه وعطائه. وستقف حائرًا عن أيها ستحمده عليها.

أذكر وأنا أكتب هذه الأسطر قول الحق تبارك وتعالى: (قُلْ مَنْ يَكْلَؤُكُمْ بِاللَّيْلِ وَالنَّهَارِ مِنَ الرَّحْمَنِ بَلْ هُمْ عَنْ ذِكْرِ رَبِّهِمْ مُعْرِضُونَ) (٤٢ الأنبياء).

وروي عن محمد بن مسلم أنه قال: بلغني أن رجلاً جاء إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال: يا رسول الله أوصني ولا تكثر عليَّ. قال: "لا تتهم الله في شيء قضاه لك" (جامع العلوم والحكم، ص ١٩٤).

وروي عن الإمام عبدالواحد بن زيد رحمه الله أنه قال: الرضا باب الله الأعظم، وجنة الدنيا، ومستراح العابدين.

خاطرة:

خلاصة التجارب كلها في الحب: أنك لا تحب حين تختار، ولا تختار حين تحب، وأننا مع القضاء والقدر حين نولد، وحين نحب، وحين نموت.

عباس محمود العقاد

مدارس التواضع ما لن تتعلمه في الجامعة

عندما حقق الشيخ أحمد محمد شاكر يرحمه الله مسند الإمام أحمد، أرسل له الشيخ عبدالرحمن بن يحيى المعلمي اليماني رسالة فيها عدد من الاستدراكات والملحوظات على مواضع عدة من تحقيقه للمسند، فلما رأى الشيخ أحمد شاكر هذه الاستدركات وحسنها وجودتها قرر طباعتها في الجزء الأخير من مسند الإمام أحمد.

وفي إحدى السنوات زار الشيخ أحمد شاكر بلاد الحرمين، فرغب في رؤية الشيخ المعلمي اليماني، فدخل مكتبة الحرم المكي واتجه صوب مدير المكتبة، وكان آنذاك يديرها الشيخ سليمان بن عبدالرحمن الصنيع يرحمه الله صاحب الإجازات العلمية الشهيرة، التي جاوزت الأربعين، وفي أثناء محادثته مع الشيخ سليمان الصنيع إذ جاء الشيخ المعلمي اليماني بالماء والشاي، ووضعهما أمام الشيخ أحمد شاكر والصنيع، وانصرف المعلمي للقراءة، ثم قال الشيخ أحمد شاكر (باللهجة المصرية): «عاوز أشوف الشيخ المعلمي اليماني». فقال له الشيخ الصنيع: الذي أحضر لك الشاي والماء هو المعلمي اليماني، وما هي إلا دقائق حتى أخذ الشيخ أحمد شاكر في البكاء.

هذه القصة أوردها الأستاذ ماجد بن عبدالعزيز الزيادي في تحقيقه لكتاب (عمارة القبور) للشيخ عبدالرحمن بن يحيى المعلمي رحمه الله، وكذلك ذكرها الأستاذ محمود الطناحي في كتابه (مدخل إلى تاريخ نشر التراث العربي) للشيخ عبدالرحمن المعلمي (ص: ٢٠٥).

تراود الفكر عند قراءة مثل هذه المواقف النبيلة برغم بساطتها وعفويتها، القصة التي ملأت سمع الدنيا وبصرها، تلك هي حادثة الإسراء والمعراج، التي حدثت لخير البشر صلى الله عليه وسلم، حتى وصل به المقام لسدرة المنتهى التي عندها جنة المأوى، فما منعه هذا المقام والمسير العظيم والمنزلة العالية الرفيعة، أن يعود في صبيحتها ليجالس الفقراء والمساكين، ويؤاكلهم، ويقضي حاجاتهم، تلك الحادثة التي لو حدثت لأحدنا لملأ الدنيا ضجيجًا وصخبًا بكثرة ترديدها، لكنه خلق التواضع ونعمة التباسط التي حرمها كثير من الناس.

روى الإمام أحمد وأبو داود، من حديث أم المؤمنين عائشة رضى الله عنها قالت: سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول: (إن المؤمن ليدرك بحسن خلقه درجة الصائم القائم) صححه الألباني.

أتذكر في هذا المقام المقولة الشهيرة للشاعر والروائي روبندرونات طاغور:

(نقترب من العظمة بقدر ما نقترب من التواضع).

وكذلك المقولة الخالدة للفيلسوف كونفوشيوس:

(من يتكلم دون تواضع سيجد صعوبة في جعل كلماته مسموعة).

وصدق القائل:

تواضع تكن كالنجم لاح لناظرٍ

على صفـحـات الماء وهو رفيع

ولا تك كالدخان يرفع نفسَه

إلى طبقات الجو وهو وضيعُ

زادنا الله وإياك تواضعًا ورفعةً، وأسبغ علينا نعمه ظاهرة وباطنة.

سجن من دون جدران كف عن إيذاء نفسك ومن حولك

بُعيد انتهاء حرب الولايات المتحدة مع كوريا الشمالية عام ١٩٥٣م. قام الجنرال وليام ماير كبير المحللين النفسيين في الجيش الأمريكي إذ ذاك بدراسة واحدة من أعقد قضايا تاريخ الحروب في العالم، فقد تم أسر وسجن ما يقارب ألف جندي أمريكي في تلك الحرب، لقد وضعوا داخل مخيم تتوافر فيه كل مزايا السجون من حيث المواصفات الدولية، فهذا السجن كان مطابقًا للقوانين الدولية من حيث الخدمات المقدمة للسجين، ومن حيث معاملته، وهذا السجن لم يكن محاطًا بسور عالٍ كباقي السجون، بل كان يمكن للسجناء الهروب منه!

وكان الأكل والشرب والخدمات متوافرة بكثرة، ولم تكن تُستخدَم أساليب التعذيب المتداولة والمتعارفة في بقية السجون، فقد كانت التقارير تشير إلى عدد وفيات في هذا السجن أكثر من غيره! هذه الوفيات لم تكن نتيجة الفرار، بل كانت موتًا طبيعيًّا، الكثير منهم كانوا ينامون ليلًا، وما إن يأتي الصباح إلا وقد ماتوا، على الرغم من أن علاقتهم ببعضهم كانت علاقة صداقة حميمية جدًّا على اختلاف درجاتهم ورتبهم العسكرية، وحتى علاقتهم بسجانيهم كانت علاقة ودية إلى أقصى حد.

تمت دراسة هذه الظاهرة في سنوات عدة، فاستطاع ماير خلالها الحصول على بعض المعلومات والاستنتاجات من خلال هذه الدراسة تمثلت في الآتي:

كانت الرسائل والأخبار السيئة فقط هي التي تصل إلى مسامع السجناء، أما الأخبار الجيدة فقد كانت تُخفَى عنهم!

وكان السجانون يأمرون السجناء بأن يحكوا على الملأ إحدى ذكرياتهم السيئة حول خيانتهم أو خذلانهم لأحد أصدقائهم أو معارفهم. وكل من يتجسس على زملائه في السجن يُمنَح مكافاة، كسيجارة مثلًا! والغريب في الأمر أنه لم يُعاقَب من يخالف الضوابط والقوانين، ويتم العلم بمخالفته عن طريق وشاية زميله في السجن، وهذا شجع جميع السجناء على التجسس على زملائهم؛ لأنهم لم يشعروا بتأنيب الضمير، وهكذا اعتاد جميع السجناء على التجسس على بعضهم، وذلك لم يكن يشكل خطرًا على أحد.

لقد كشفت التحقيقات أن هذه التقنيات الثلاث، كانت السبب في تحطم نفسيات هؤلاء الجنود إلى حد الوفاة!

كانوا يفقدون الأمل تدريجيًّا من الأخبار السيئة، وذكرياتهم عن الخيانة أمام الملأ ذهبت باحترامهم لأنفسهم ولمن حولهم، والتجسس على بعضهم قضى على عزة النفس والكرامة لديهم، فبدؤوا يشعرون بأنهم حقراء وأنذال.

هذه العوامل مجتمعة أوصلتهم إلى تساوي الحياة والموت لديهم، بل ربما زادت مشاعرهم تجاه عدم الرغبة في الحياة، أو ما يسمى الموت الصامت.

قد تكون هذه الرواية والتحليل مغرقًا جدًّا في الرمزية إلى أبعد حد، ولكن لها شواهد عظيمة في ممارساتنا اليومية خصوصًا مع تزاحم الأخبار وتسارع وتيرة الحياة بشكل طغى على معظم أرجاء حياتنا.

الآن توقف قليلًا، واسأل نفسك:

كم من الأخبار السيئة تسمع، وتنقل؟

كم من المشاعر السلبية تبثها لنفسك ولغيرك بقصد أو بغيره؟

كم من فلتات اللسان تنطلق منك يوميًّا؟

كم... وكم... وكم... مما لو أحصيته في يوم واحد فقط لوجدت العجب!

لذا توقف عن قتل مشاعرك وخلايا جسمك ومن حولك يوميًّا بهذا المسلك.

أتذكر في هذا المقام مقولة لقمان الحكيم: «ليس غِنى كصحة، ولا نعمة كطيب نفس».

وكم أطرب عندما أقرأ أبياتًا من قصيدة الشاعر اللبناني إيليا أبو ماضي (كم تشتكي):

كم تشتكي وتقولُ إنك معدمُ
والأرضُ ملكُكَ والسما والأنجمُ
ولكَ الحقولُ وزهرُها وأريجُها
ونسيمُها والبلبلُ المترنِّمُ
والماءُ حولكَ فضةٌ رقراقةٌ
والشمسُ فوقكَ عسجدٌ يتضرَّمُ

هــشـــتْ لكَ الدنيـــا فمـا لكَ واجمًــا
وتــبــســمــتْ فعــلامَ لا تتبــسَّـــمُ؟
إنْ كنتَ مكتـئـبًا لعـزٍّ قـدْ مـضَـى
هــيـهــاتَ يرجـــعُــه إلـيـكَ تـنـــدُّمُ
أو كــنــتَ تشـفـقُ مِنْ حلولِ مصيبةٍ
هــيـهـاتَ يمــنــعُ أنْ تــحــلَّ تجـهُّمُ
أو كــنــتَ جـــاوزتَ الـشـبابَ فلا تقلْ:
شـــاخَ الــزمــانُ فــإنَّــه لا يــهــرمُ
انـظــرْ فمــا زالــتْ تطـلُّ منَ الـثَّرى
صـــورٌ تكادُ لـحــســنِـهــا تــتــكــلَّــمُ

الموت بحضوره الطاغي

في عام ١٨٤٥ نشر الكاتب الروسي فيودور دوستيفسكي أولى رواياته "المسكين"، وبمجرد نشر الرواية أصبح الشاب ذو الأعوام الأربعة والعشرين حديث المجتمع الروسي بأكمله، وفرض اسمه على ساحة الأدب، وتبوأ مكانًا بارزًا في صدارة المشهد الثقافي في موسكو.

لكن الشاب لم يكن بعد قد ملأ خزان وعيه بالنضج الكافي كي يستثمر هذا النجاح بالشكل الأمثل، وإن هي إلا فترة قصيرة إلا وانجرف إلى محيط السياسة، وصار حاضرًا بقوة في المشهد الاشتراكي، وكان مِن أشد المؤيّدين لتحرير الفلاحين المملوكين إقطاعيًا، ويشجّع على قيام ثورات للفلاحين.

وفي أبريل ١٨٤٩ تم القبض على دوستيفسكي ومعه ٢٣ عضوًا من زملائه في التنظيم، واقتيدوا إلى السجن للمحاكمة.

مكث الأديب الشاب في السجن ثمانية أشهر قبل أن يوقظوه ذات صباح كي يسمع ومَن معه الأحكام الصادرة ضدهم، ولأن الأحكام في مِثل هذه القضايا لا تتجاوز الأشهر فقد بدا لهم أن المحنة ستنجلي قريبًا.

حملوهم في سيارة إلى إحدى ساحات موسكو، ووجدوا في منتصف الساحة منصّة إعدام مغطاة بقماش أسود، وحولها الآلاف جاءوا ليروْا تنفيذ الحكم!

لم يُصدِّق دوستيفسكي عينيه، هل مِن المعقول أن يتم تنفيذ حُكم الإعدام فيه وفي مَن معه؟ إنه أمر لم يخطر أبدًا على ذهن أكثرهم تشاؤمًا!

وبعد لحظات مِن الانتظار الثقيل، جاء الضابط ليتلو الحكم عليهم: "كل المتهمين مدانون بالسعي للإطاحة بالنظام القومي، وقد حُكِم عليهم بالإعدام رميًا بالرصاص".

خيّم الصمت على دوستيفسكي وزملائه، اللهم إلا صوت نحيب بعضهم، وهم غير مصدّقين أن نهايتهم قد دنت بهذه السرعة الجنونية.

أُعطي السجناء أقنعة، وتقدَّم أحد الكهنة كي يقرأ عليهم الشعائر الأخيرة، ووقف الرجال بعدما أسدلت الأغطية على وجوههم، ورفع الجنود بنادقهم وصوّبوها نحوهم، وقبل أن يُعطى الأمر بتنفيذ الحكم، وصلت عربة مسرعة إلى الساحة، وترجل منها رجل يحمل مغلفًا، والذي حوى حكمًا نهائيًا بتخفيف العقوبة، بقضاء أربع سنوات مِن الأشغال الشاقة في سجون سيبيريا، يتبعها فترة خدمة في الجيش.

وكانت هذه اللحظة هي البداية الحقيقية لأسطورة دوستيفسكي الأديب الذي صنع تاريخًا أدبيًا مبهرًا، ويسجّل هذه اللحظات في الرسالة التي بعثها إلى أخيه يقول فيها: "حين أنظر إلى الماضي، إلى السنوات التي أضعتها عبثًا وخطأً، ينزف قلبي ألمًا، الحياة هبة.. كل دقيقة فيها يمكن أن تكون حياة أبدية مِن السعادة! فقط لو يعرف الأحياء هذا، الآن ستتغيّر حياتي، الآن سأبدأ من جديد".

قضى الرجل فترة العقوبة.. ولأنه لم يكن مسموحًا له بالكتابة في السجن فقد كان يحتفظ في ذهنه بأحداث رواياته، صار دافعه للعمل والإنتاج كبيرًا، وبعد خروجه رأى العالم إبداعات دوستيفسكي، حتى أن أصدقاءه كانوا يروْنه وهو يمشي في الشارع متمتمًا بحوارات أبطاله، غارقًا كلية في حبكات قصصه.

كان يغضب ممن يتحدّث بشفقة أو تعاطف عن أيام سجنه، بل كان يشعر بامتنان عظيم لتلك التجربة، فلولا ذلك اليوم من شهر ديسمبر ١٨٤٩ لضاعت حياته، وإلى أن مات الرجل في ١٨٨١ تابع كتاباته في سرعة جنونية، مؤلفًا أعظم الروايات لا في تاريخ الأدب الروسي فحسب، بل وتاريخ الأدب عامة، ولعل مَن قرأ رواياته "الجريمة والعقاب"، "الإخوة كرامازوف"، "الأبله" سيدرك ذلك.

أتوقّف هنا عند كلمة دوستيفسكي التي قالها عندما سُئل عن شعاره في الحياة فقال: "حاول أن تنجز أقصى ما يمكنك إنجازه في أقصر وقت ممكن".

إنه الموت بحضوره الطاغي المخيف هو الذي صاغ معالم العبقرية لدى هذا الرجل!

كان كلما أحسّ بالسكينة والهدوء والراحة ذَكّر نفسه بهذا اليوم العصيب؛ فينتفض ليكتب ويكتب، حتى إنه كان يذهب ليقامر بماله كله إذا ما شعر بأنه مرتاح وراضٍ عن نفسه أكثر من اللازم؛ فالفقر والديون كانت تمثّل له نوعًا من الموت الرمزي، فكان يكتب حينها وكأن كتاباته هي التي ستعيده إلى الحياة مرة أخرى.

هذه كانت طريقة دوستيفسكي للحياة، أن يأخذ رشفة مِن فنجان الموت الذي كان قريبًا مِن تجرّعه كاملاً.

خاطرة

"اشتر نفسك؛ فالسوق قائمة، والثمن موجود".

ابن قيم الجوزية

"لا يبني الثقة بالنفس واحترامها مثل الإنجاز" .

توماس كارليل

قلادة الإحسان

جاء في ترجمة الشيخ فالح الصغير السبيعي من أهل الزلفي (ت١٣٥٩) وهو العالم الذي قَضَى جُلَّ حياتِه بين العِلم والتحصِيل والدعوة والتدريس والقضاء، مُتنقِّلًا بين أرجائها، برغم الصعوبات، وشِدَّةِ المؤونة، وضنك العيش في كتاب "عصارة الشهد في ذكريات الوالد عن الجد ص٦٨-٦٩" ما نصه (بتصرف):

ومن كرمه وسخائه رحمه الله أن حضرت زوجة جاره ذات مرة إلى زوجته أم عبدالله سارة الفايز رحمهما الله، فبكت عندها بكاء شديدًا لا شعوريًّا، فقالت زوجة الشيخ: ما يبكيك؟

فأجابتها قائلة: عندي رغبة شديدة وأتمنى أن أحج هذا العام، فالقافلة ستسير اليوم أو غدًا، وأبو فلان (زوجها) رفض أن أحج، وأخشى على نفسي من الموت!! فقد كانت رحمها الله حريصة على الحج مع فقرها، وضنك عيشها، وضيق ذات يدها ويد زوجها- أدع المقارنة مع نساء العصر للقارئ الكريم- فسكتت زوجة الشيخ، فلما عاد الشيخ إلى بيته، أخبرته أم عبدالله الخبر، فذكر الله، وأشخص يتأمل، فلما صلى بالمسجد استدعى جاره، وقال: يا فلان نريدك معنا بالحج أنت وأم فلان، قال: يا شيخ والله إن نفسي تتقطع رغبة في الحج، ولكن والله لا أملك عشائي هذه الليلة، فكيف سأحج؟

قال الشيخ: قد اشتريت لك ذلولًا من مال عندي أمانة، وكتبته في ذمتي، لأنه لا يملك مالًا رحمه الله، وزادك عليَّ، لكن نريدك معنا، فانطلق الجار فرحًا وبشر امرأته، فذهبا هو وزوجته وحجًّا مع الشيخ.

ولأن الله يأبى إلا أن يكرم من أكرم ضيوفه، فلما عاد الشيخ من حجه باع الذلول (الناقة) بضعفي قيمتها.

كم تعجبت كثيرًا عندما قرأت هذه النادرة في طيات هذا الكتاب، ولا ينقضي العجب من كل تفاصيلها وأبعادها، فمن أدب وكياسة في الطلب من تلك المرأة التي عرضت حاجتها بطريقة تأبى النفس السوية رفضها، إلى امرأة استطاعت بكياسة وفطنة من نقل ذلك الطلب إلى زوجها، إلى رجل حكيم، بعيد النظر، مجرب، استطاع بكل سلاسة وذكاء من تلبية حاجة الزوجة وزوجها، دون أن يخدش لهما كرامة، مع ضيق ذات يده، وقلة موارده، ولكنها النفس الأبية التي تحيل شدائد الأمور إلى تجارة رابحة، ويجازف بمال دين عنده، ويوثقه على نفسه، ويبلغ العجب منتهاه (ولا عجب)، وهو إكرام الله المطلع على خفايا النفوس وسرائر الصدور، لهذا المحسن الأبي النبيل، وهو لذلك أهل وجدير، بأن يمكنه من بيع ناقته بضعفي ثمن شرائها.

إن العجائب في طيات بعض القصص لا تنتهي، وكذلك عجائب تدبير الله لعباده وإحسانه وإكرامه لهم، أكثر وأعظم من أن يحصيها بشر، أو يخطها قلم، أو يحويها سفر.

وصَدَقَ أبو حنيفة رحمه الله حينما قال:

الحكاياتُ عن العلماء ومحاسنهم أحبُّ إليَّ مِن كثير من الفِقه؛ لأنها آدابُ القوم وأخلاقهم.

وقال الجنيد: الحكايات جند من جنود الله عز وجل يقوي الله بها إيمان العباد، فقيل له: هل لهذا من شاهد؟ قال: قوله تعالى: (وَكُلًّا نَقُصُّ عَلَيْكَ مِنْ أَنْبَاءِ الرُّسُلِ مَا نُثَبِّتُ بِهِ فُؤَادَكَ) هود: ١٢٠.

وكذلك ما ذكره الإمام ابن القيِّم عندما قال:

مفتاح حصول الرَّحمة الإحْسَان في عبادة الخالق، والسَّعي في نفع عبيده.

أتذكر في هذا السياق مقولة الفيلسوف والكاتب الإنجليزي فرانسيس بيكون عندما قال:

الرجل الحكيم يصنع من الفرص أكثر مما يجد.

بيل غيتس ... وقواعده الـ «١١»

قرر بيل جيتس مؤسس شركة مايكروسوفت ومالكها، إلقاء محاضرة في إحدى المدارس الأمريكية عن التنمية الذاتية؛ وذلك لاقتناعه بأن أغلب أنظمة التعليم تغزّز الإحساس الكاذب بسهولة النجاح، ومن ثم يتخرج جيل غير قادر على الابتكار، أو التعامل مع الواقع.

كان عنوان المحاضرة «مهارات وأفكار لن تعلّموها في المدارس»، وللتعرف إلى نصائحه إليكم إحدى عشرة قاعدة:

القاعدة الأولى: الحياة ليست عادلة تمامًا وعليك أن تعتاد على العيش في الظروف التي تعيش فيها.

القاعدة الثانية: لن تستطيع الحصول على دخل سنوي قدره ٦٠ ألف دولار، بمجرد التخرج المدرسة الثانوية، ولن تتقلد منصبًا رفيعًا، لمجرد أنك إنسان محترم، ولن تحصل على سيارة إلا بعد أن تجتهد، وتجدّيه الحصول على

الوظيفة المرموقة والسيارة الفارهة.

القاعدة الثالثة: العالم لا يعنيه مدى احترامك لذاتك، ولا كيف ترى نفسك، فسوف يتوقع منك الجميع أن تنجز

شيئًا، وأن تؤدي دورًا قبل أن ينتابك شعور بالفخر تجاه نفسك.

القاعدة الرابعة: إذا كنت تعتقد أن معلمك شديد وعنيف، وأن طلباته المتواصلة تفوق طاقتك، فلا تتسرع في الحكم، وانتظر حتى يكون لك مدير.

القاعدة الخامسة: لا تظن أن العمل في مطاعم الهمبرجر، وغسل الأطباق وظيفة دون المستوى، فمازال الناس الدول الفقيرة يتمنون فرصة عمل كهذه.

القاعدة السادسة: قبل ولادتك لم يكن والداك شخصين مملّين، كما تظن الآن، لقد أصبحا كذلك بسبب مصاريف

دراستك، وارتفاع ثمن ملابسك الجميلة، والنظر إليك، وأنت تكبر يومًا بعد يوم لذلك قبل أن تشرع تنقذ العالم،

وتغيره، وتنقذ الغابات الاستوائية من الدمار، وحماية البيئة، والتخلص من السلبية في العالم، ابدأ أولاً بتنظيف دولابك الخاص، وأعد: ترتيب غرفتك.

القاعدة السابعة: إذا ما أخطأت، وسقطت، وارتبكت، فاعلم أن الذنب ذنبك، وليس ذنب أهلك، أو والديك، وبدلاً

من أن تبكي حظك، وتندبه، تعلَّم من أخطائك.

القاعدة الثامنة: قد تكون مدرستك تخلصت من المتفوقين والكسالى معًا، ولكنهم مازالوا موجودين في كل مكان، ففي بعض المدارس أُلغيت درجات الرسوب، حيث يمنح الطلبة أكثر من فرصة إعطاء الإجابات الصحيحة، وهي فرص لن يتمتعوا بها عند الخروج إلى الحياة العملية، ففي بعض الأحيان لا تمنح إلا فرصة واحدة فقط.

القاعدة التاسعة: الحياة التي نراها في الأفلام السينمائية ليست واقعية ولا حقيقية. في الواقع لا يقضي الناس كل وقتهم في اللعب والإجازات والجلوس في المقاهي الفارهة بل عليهم الذهاب إلى العمل.

القاعدة العاشرة: الحياة ليست سلسلة من الفصول الدراسية المتابعة، ولن تستطيع أن تقضي كل فصل صيف في إجازة، ولن يكون أصحاب الأعمال مثلاً كالمعلمين متفرغين فقط لمساعدتك، عليك أن تساعد نفسك، وأن تنجز كل أعمالك على حساب وقتك أنت.

القاعدة الحادية عشرة: عليك أن تحترم المتفوقين، حتى إن كانوا غريبي الأطوار لأنه ربما تنتهي بك الحال في العمل إلى أن تكون تحت قيادتهم.

الحكمة:

معرفة رأي واحد ممن أثروا في هذه الحياة ووجهة نظره يساعد على تغيير طريقة نظرنا إلى كثير من الأمور في حياتنا.

تجالسنا وأنت تلحن؟!

ذكر الشيخ ابن عثيمين رحمه الله، في كتاب القول المفيد (٤٠٥/١) قال: ويقال: إن الكسائي شيخ القراءة والعربية، أبو الحسن علي بن حمزة، بن عبدالله، بن بهمن، بن فيروز الأسدي، مولاهم الكوفي. إمام النحو، أنه طلب النحو عدة مرات، ولكنه لم يوفق، فرأى نملة تحمل نواة تمر، فتصعد بها إلى الجدار، فتسقط، حتى كررت ذلك عدة مرات، ثم صعدت بها إلى الجدار وتجاوزته، فقال: سبحان الله! هذه النملة تكابد هذه النواة حتى نجحت، إذن أنا سأكابد علم النحو حتى أنجح. فكابد، فصار إمام أهل الكوفة في النحو.

بينما قال الذهبي في السير (١٣٣/٩-١٣٤): وعن الفراء قال: «إنما تعلم الكسائي النحو على كبر، ولزم معاذًا الهراء مدة، ثم خرج إلى الخليل». وعلق المحقق على هذا الكلام بقوله: «وكان سبب تعلمه أنه جاء يومًا وقد مشى حتى أعيا، فجلس إلى قوم فيهم فضل، وكان يجالسهم كثيرًا، فقال: قد عييت. فقالوا له: تجالسنا وأنت تلحن؟! فقال: كيف لحنت؟ فقالوا: إن كنت أردت من التعب. فقل: أعييت. وإن كنت أردت من انقطاع الحيلة والتحير في الأمر، فقل: عييت. مخففة، فأنف من هذه الكلمة، وقام من فوره، فسأل عمن يعلم النحو، فأرشدوه إلى معاذ الهراء، فلزمه حتى أنفذ ما عنده».

ذكر هذه الحكاية الذهبي في تاريخ الإسلام (٣٠٣/١٢)، والسيوطي في بغية الوعاة في طبقات اللغويين والنحاة (١٦٣/٢).

أتذكر المقولة الشهيرة للسيدة ليزي فيلاسكيز التي كانت تعاني من مرض نادر وخطير للغاية اسمه متلازمة بروجي رويد. عندما سألوها ذات مرة عن مرضها فأجابت: "رزقني الله بأعظم نعمة في حياتي؛ وهي مرضي".. والتي أصبحت بعدها أيقونة لتحدي التنمر والسخرية على شبكة الإنترنت، عندما رفضت كل هذه الإحباطات السلبية لم تحط من عزيمتها ولم تجعلها تنزوي على نفسها خوفًا من نظرة الآخرين، بل شيّدت من كل هذه الانتقادات، طريقًا فريدًا لتحقيق أحلامها وللتأثير على العالم بشكل قد لا يقوم به الكثير من أصحاب وصاحبات الوجوه الجميلة.

سل نفسك بهدوء

- كم من إنجاز عظيم ولد من رحم المعاناة؟
- كم من يتيم شيد قصوراً من الإنجاز والفخامة؟
- كم من عاجز بدنياً مهد طرقًا من الإبداع والإلهام للآخرين؟

تمتلئ بطون الكتب والمقالات والأبحاث بمئات بل بالألاف من الأمثلة التي يضيق المقام لسردها.

ولعله يكفي من ذلك المقولة الأشهر للشاعر الفارسي شمس الدين التبريزي:

«أولئك الذين يأملون أن تذهب المُعاناة يوماً عنهُم لَن تذهب ، لأن المُعاناة ليست في الأشياء والأحوال إنما المُعاناة بداخلهم ستذهب معهُم أينما ذهبوا».

الزاوية الإيجابية

كان ذلك الرجل يركض هنا وهناك، يجمع العلب الفارغة التي كانت تتخلص منها الطائرات المقاتلة التي تقصف قريته.

الكل كان مذعورًا إلا هو، فقد كان يسعى وراء هدف لا بد أن يحققه، حتى في أيام الحرب، كان ينظر إلى الأحداث من زاوية إيجابية، كان يسمي تلك العلب التي تسقط من السماء «هدايا الرئيس الأمريكي».

إنه يعيش في بلد يسمون الفشل (محاولة) متى يبدأ الفشل؟ يبدأ الفشل عندما تستمع للمثبطين، ويبدأ الفشل عندما تعتقد أن الآخرين هم فقط يستطيعون، ويبدأ الفشل عندما تقرر أنت وحدك التوقف عن المحاولة. لنضع كل محاولة فاشلة تحت أقدامنا، فهي ترفعنا إلى أعلى.. .

ولد ذلك الرجل قبل الحرب العالمية الثانية بأربعين سنة من عائلة فقيرة، مات خمسة من عائلته بسبب سوء التغذية، وقد فشل في الدراسة، فتركها ، وهو في الصف الثامن ثم عمل بعد ذلك في ورشة صغيرة، وأقبل على ميكانيكا السيارات، وأحبها، فاقترض مبلغًا من المال؛ ليعمل حلقات صمام لشركة سيارات كبرى، ولكنها مع الأسف لم توافق مقاييس الشركة.

فهل توقف عن المحاولة؟ كلا، فقد دخل المدرسة ليطور تصميم الصمام، وبعد سنتين من الجهد والعمل وقع مع الشركة العقد الذي كان يعلم به، ولكنه يحتاج إلى بناء مصنع؛ لتزويد الشركة بالكمية المطلوبة، ولقد كانت البلد في حالة حرب، فرفضت الحكومة طلبه بتزويده بالإسمنت. فهل توقف عن المحاولة؟ كلاب قام هو وفريقه باختراع عملية لإنتاج الإسمنت للمصنع.

وما أن بدأ التصنيع، حتى قصف المصنع في أثناء الحرب، فهل تتوقعون أنه توقف عن المحاولة؟ كلا، أعاد بناء الأجزاء المتضررة من المصنع، ثم بعد أيام قصف المصنع مرة أخرى.

فهل ندب حظه مثل ما نفعل أحيانًا؟ كلا، ثم كلا، فقد أعاد بناء المصنع مرة ثانية. وهكذا بدأ يصنع الكميات المطلوبة لتلك الشركة، لكن عندما كان يعيش نشوة النجاح، حدث زلزال كبير، فأصبح المصنع أثرًا بعد عين، فباع فكرة الصمام الشركة.

فهل تظنون أن رجلاً بهذا الطموح والعزم يتوقف؟

إنه رجل يعشق القمم، وفي هذه الأثناء حدث في بلدته أزمة أخرى، فقد عانت اليابان انقطاعًا في إمدادات البنزين، وكمت هو المعتاد سيقول أكثر الناس: إنها أزمة، ولكن صاحبنا بعزيمته قال: إنها فرصة، وقام بتصنيع دراجات هوائية بمحرك يعمل على الكورسين المتوافر، ونجحت الفكرة، وحققت نجاحًا ساحقًا. وبعد كل هذه المحاولات جاءت الإنجازات، فعام ١٩٦٨ باعت شركة هوندا مليون دراجة نارية للولايات المتحدة.

وكانت تلك هي البداية للانطلاق للعالمية، حيث يعمل اليوم في شركة هوندا ما يقارب من مئة ألف عامل؛ لأن رجلاً واحدًا فقط عزم على ألا يتوقف عن المحاولة.

لقد استطاع (سيكيروهوندا) أن يقف صلب العود أمام الفقر، والفشل الدراسي، وموت خمسة من عائلته بسوء التغذية، والحرب، وتحطم مصنعه مرتين، والزلزال المدمر، والركود الاقتصادي، إضافة إلى ذلك المنافسة الشرسة والعنيفة والمستمرة من الشركات الكبرى، فأيهما أسوأ حظًّا نحن أم هوندا؟!

درس: إن هوندا يعلمنا أن ننهض بعد السقوط؛ لنكون أشد وأقوى من قبل، وقد قال عندما استلم الدكتوراه الفخرية: «أؤكد لكم أن النجاح يمثل واحدًا في المئة من علمائنا، الذي ينتج عن تسعة وتسعين في المئة من الفشل».

هل ترى بالبصر أم بالبصيرة؟

دخل رجلٌ غريبٌ لا يعرفه أحدٌ من جلساء حكيم ثري ،، يعلم تلامذته، ولا يبدو علي الرجل مظهرُ طلابِ العلم، ولكنه بدا للوهلة الأولى كأنه عزيزُ قومٍ أذلّتهُ الحياة!!

دخل وسلّم، وجلس حيث انتهى به المجلس، وأخذ يستمع للشيخ بأدبٍ وإنصات، وفي يده قارورةٌ فيها ما يشبه الماء لا تفارقه.

قطع الشيخ العالمُ حديثه، والتفت إلى الرجل الغريب، وتفرّس في وجهه، ثم سأله: ألك حاجةٌ نقضيها لك؟! أم لك سؤال فنجيبك؟!

فقال الضيف: لا هذا ولا ذاك، وإنما أنا تاجر، سمعتُ عن علمك وخُلُقك ومروءتك، فجئتُ أبيعك هذه القارورةَ التي أقسمتُ ألّا أبيعَها إلا لمن يقدّر قيمتها، وأنت -دون ريبٍ- حقيقٌ بها وجدير...

قال الشيخ: ناولنيها، فناوله إياها، فأخذ الشيخ يتأملها ويحرك رأسه إعجابًا بها، ثم التفت إلى الضيف: فقال له: بكم تبيعها؟ قال: بمئة دينار، فرد عليه الشيخ: هذا قليل عليها، سأعطيك مئةً وخمسين!! فقال الضيف: بل مئةٌ كاملةٌ لا تزيد ولا تنقص.

فقال الشيخ لابنه: أدخل عند أمك واحضر منها مئةَ دينار..

وفعلاً استلم الضيف المبلغ، ومضى في حال سبيله حامدًا شاكرًا، ثم انفضَّ المجلسُ وخرج الحاضرون، وجميعهم متعجبون من هذا الماء الذي اشتراه شيخُهم بمئة دينار!!!

دخل الشيخ إلى مخدعه للنوم، ولكنّ الفضول دعا ولده إلى فحص القارورة ومعرفةِ ما فيها، حتى تأكد بما لا يترك للشك مجالاً- أنه ماء عاديّ!!

فدخل إلى والده مسرعًا مندهشًا صارخًا: يا حكيم الحكماء، لقد خدعك الغريب، فوالله ما زاد على أن باعك ماءً عاديًا بمئة دينار، ولا أدري أأعجبُ من دهائه وخبثه، أم من طيبتك وتسرعك؟؟!!

فابتسم الشيخ الحكيم ضاحكًا، وقال لولده:

يا بني، لقد نظرتَ ببصرك فرأيتَه ماءً عاديًّا، أما أنا، فقد نظرتُ ببصيرتي وخبرتي فرأيتُ الرجل جاء يحمل في القارورة ماءَ وجهه الذي أبَتْ عليه عزَّةُ نفسه أن يُريقَه أمام الحاضرين بالتذلُّل والسؤال، وكانت له حاجةٌ إلى مبلغٍ يقضي به حاجته لا يريد أكثر منه. والحمد لله الذي وفقني لإجابته وفَهْم مراده وحِفْظِ ماء وجهه أمام الحاضرين. ولو أقسمتُ ألفَ مرّةٍ أنّ ما دفعتُه له فيه لقليل، لما حَنَثْتُ في يميني.

إن استطعتَ أن تفهم حاجةَ أخيك قبل أن يتكلم بها فافعل، فذلك هو الأجملُ والأمثل.

تفقَّدْ على الدوام أهلك وجيرانك وأحبابك، فربما هم في ضيقٍ وحاجةٍ وعَوَزٍ، ولكن الحياء والعفاف وحفظَهم لماء وجوههم قد منعهم!!

فاقرأ حاجتهم قبل أن يتكلموا.

رغم أني لم أقف على سند لهذه القصة وقد تكون مغرقة في الرمزية، إلا أن المعاني والقيم التي تحملها تأبى على النفس إلا النهل من معينها.

وما أجمل قول الفيلسوف أفلاطون لا تصير عين البصيرة حادة إلا إذ ضعفت عين الجسد.

خاطرة

لا تلمس الحق البسيط الجلي إلا النفس البصيرة الرفيعة.

مي زيادة

وما أجملَ قولَ من قال:

إذا لم تستطع أن تسمع صمْتَ أخيك، فلن تستطيع أن تسمع كلماتِه.

دمت ذا بصر نافذ وبصيرة من حديد.

دروس الجندي الصغير

منذ اللحظة الأولى لإعلان ظهوره قام هذا الجندي الخفي بتحييد كل ما أنتجه جبروت الإنسان وطغيانه وظلمه وبطشة من الأسلحة الفتاكة إلى حاملات الطائرات مرورًا بالغواصات الذرية ناهيك عن الأسلحة النووية وفتكها والأقمار الصناعية ومجساتها، كل ذلك ذهب أدراج الرياح بمجرد أن أعلن هذا الجندي بدء حربه!!

فايروس صغير لا يرى بالعين المجردة إلا بعد أن يكبر نصف مليون مرة يحطم جبروت الإنسان، ويبث الرعب والهلع بلحظات لا يعترف بحدود ولا تحده سلطة ولا يمنع من دخول قاعدة جوية أو ثكنة عسكرية أو ساحة حرب مهما كان قضها وقضيضها، بل أنه ينشر الرعب بمجرد أن يسجل حضوره !!

فايروس جعل من حضارة إنسانية متناهية في القدم مجرد أضحوكة يتندر بها القاصي والداني، حطم جبروتنا، وأظهر مدى ضعفها، وسخفها، وضحالة تفكير بعض منتسبيها، وقلة حيلتها، جعل من حكومات ومنظمات ورؤساء وجيوش وأفراد يمشون ويتخبطون كالسكارى وماهم بسكارى، أمم كانت تفاخر على بعضها وتتسلط عليها وتنهب ثرواتها وتنبزها بأبشع الألقاب رأيناها تقف عاجزة حائرة هائمة على وجهها لا تعرف أين المآل والمصير.

جندي صغير جعل من رئيس أعتى دولة على وجه الأرض تملك من مخزون الأسلحة ما يعادل ما تملكه الدول مجتمعة يخرج علينا كل يوم ليثبت لنا عجزه وضعفه وقلّة حيلته، وكلما خرج بتصريح للقضاء على هذا الجندي زاد الجندي من ضراوته وشراسته فبعد أن صرح أنه سيقضي على الجندي الخفي بعدها بست ساعات تعلن الدول إغلاق المساجد والكنائس والمعابد في معظم أصقاع الأرض، وبعدها يخرج مرة أخرى ليقول إنه وجد مصل لهذا الدواء لتزداد ضراوة هذا الجندي الخفي ويعلن بعدها بيوم إغلاق الحدود مع كندا أقرب المجاورين له.

جندي صغير جعل من سفينة دايموند برنسيس أكبر سفينة رفاهية على سطح البحر والتي لا يستطع ركوبها إلا المترفين وباذخي الثراء وتحتوى على قطع الجواهر والألماس والماركات العالمية الباذخة، جعل منها هذا الجندي بعشية دون ضحاها أكبر مكان عائم موبوء على سطح الكوكب، الأمر الذي جعل الدول ترفض استقبالها والرسو على موانئها واعتبرت هي وقطعها الفارهة غير قابلة للمس والتعاطي، وجعل أثريائها يستعدون لدفع الأموال الطائلة لمن يخرجهم منها ولم يجدوا إلى ذلك سبيلاً !! الأمر الذي جعل أحد الخبراء اللذين كانوا على متنها يصف الموقف على متنها بـ «الفوضوي».

سبحانك ربي ما أحكمك وأدق موازين عدلك..

أين دول العشرين إذن؟ يتهاوى اقتصادها أمام ناظريها دون حيلة تذكر، لتعلن زعيمة إحداها أنها تواجه أكبر خطر حقيقي منذ الحرب العالمية الثانية.

أين دول العالم الأول التي كنا نحلم بالسفر إليها؟ إنهم يقبعون بالمنازل تحت الإقامة الجبرية بأمر من هذا الجندي الخفي.

أين جبوت أمريكا، وأوروبا، وروسيا، والصين، واليابان؟ ذهبت أدراج الرياح مذ أعلن هذا الجندي سطوته.

أين الجامعات، ومراكز الأبحاث، والمعامل؟ وقوفوا حائرين مطئطي الرؤوس منتظرين الفرج والغوث ممن لديه ذلك.

أين أبطال نوبل؟ لا صوت يعلوا فوق صوت الجندي.

أين من كانوا ينابزوننا بالمطاعم الفارهة التي تتعدى قيمة الوجبة الواحدة فيها ١٣٠٠ دولارًا، وأنها مخصصة للكبراء وعلية القوم ومنتهيي الثراء ويحثوننا بكل وسيلة أن لا نحضر لها لأننا لا نملك قيمة وجباتها الباذخة، إنهم بكل بساطة يقفون في طوابير طويلة لتأمين الخبز والقوت لأنفسهم ولأسرهم هلعًا وجزعًا في حدث لم يكن بينهما أكثر من شهرين من عمر الزمن، وأين هي تلك المطاعم الفارهة لقد نكست كراسيها وطاولتها كما تنكس الأعلام في المآتم بأمر من أذن بافتتاحها!! كما أمرت تلك المطاعم الباذخة بأن تقدم وجباتها بأدوات بلاستيكية لا يتعدى قيمة الواحد منها السنتات المعدودة.

سبحانك ربي ما أعظم سطوتك وامتحانك بأقل وأضعف عدد من جندك (وما يعلم جنود ربك إلا هو).

جندي صغير جعل كل ذي إله ودين وملة ومذهب وطريقة يكفر بها وينبذها نبذ الحذاء المرقع، فاللبرالي كفر بها، والرأسمالي لعنها، والشيوعي أنكر انتمائه إليها، والبوذي أيقن بعجزها، وغيرهم كانوا من آلهتهم أشد إنكارًا ولعنًا، وأتبعوا ما قاله رئيس أعتى دولة في العالم بأن يخصصوا يوم الأحد لدعاء القدير والابتهال له ليخلصهم وينجيهم من هذا الجندي (الصغير).

أيها الجندي الصغير!!

كم دولة فضحت؟

وكم نظامًا أخزيت؟

وكم إنسانية جردت؟

وكم آلهة أركست؟

وكم غنيًا أفقرت؟

وكم عزيزًا أذللت؟

وكم إيمانًا امتحنت؟

وكم توكلاً على القدير فضحت؟

وكم تعليمًا هشًّا خاويًا كشفت؟

وكممن منابز أبكمت؟ وكم وكم وكم ...

تُحدثنا كتب التاريخ والسير والأحداث عن طواعين وأمراض وحروب فتاكة مرت بالبشرية لكنها لم تحدثنا عن تجرد الإنسان من آدميته كما فعل هذا الجندي الخفي، فهذه شركات التأمين في إيطاليا وقبلها بريطانيا وفرنسا وأمريكا تعلن عن عجز أنظمتها معالجة كبار السن وأنهم لن يتلقوا علاجًا وسيتركون لمصيرهم! بينما تحدثنا شريعة السماء (أننا ننصر بضعفائنا)!!

يحدثنا العالم أن الكون كلة أصبح قرية صغيرة ويتعالم الناس أخباره كل لحظة لتكشف عوار وهشاشة وخسة أجزاء كبيرة من أنظمة وحكومات هذا العالم المادي المتوحش. ويحدثنا الخالق جل في علاه بقوله:

(وَضَرَبَ اللَّهُ مَثَلًا قَرْيَةً كَانَتْ آَمِنَةً مُطْمَئِنَّةً يَأْتِيهَا رِزْقُهَا رَغَدًا مِنْ كُلِّ مَكَانٍ فَكَفَرَتْ بِأَنْعُمِ اللَّهِ فَأَذَاقَهَا اللَّهُ لِبَاسَ الْجُوعِ وَالْخَوْفِ بِمَا كَانُوا يَصْنَعُونَ) النحل: ١١٢.

في خضم ذلك كله وما بثه هذا الجندي الذي لا يُرى من رعب وخوف وهلع يبرز قول الحق تبارك وتعالى في عليائه.

(وَلَوْ أَنَّ أَهْلَ الْقُرَى آَمَنُوا وَاتَّقَوْا لَفَتَحْنَا عَلَيْهِمْ بَرَكَاتٍ مِنَ السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ وَلَكِنْ كَذَّبُوا فَأَخَذْنَاهُمْ بِمَا كَانُوا يَكْسِبُونَ) الأعراف: ٩٦ .

وقول المصطفى صلى الله عليه وسلم في دعائه العظيم:

(اللَّهُمَّ إِنِّي أَعُوذُ بِكَ مِنْ زَوَالِ نِعْمَتِكَ، وَتَحَوُّلِ عَافِيَتِكَ، وَفُجَاءَةِ نِقْمَتِكَ، وَجَمِيعِ سَخَطِكَ)

خاطرة:

لا تجزعن إذا نابتك نائبة واصبر

ففي الصبر عند الضيق متسع

إن الكريم إذا نابته نائبة

لم يبد منه على علاته الهلع

الإمام علي بن أبي طالب (رضي الله عنه).

حكاية تيدي ستيوارت
ملهمة المعلمين والتربويون والآباء

وقفت معلمة الصف الخامس ذات يوم وألقت على التلاميذ جملة: إنني أحبكم جميعًا وهي تستثني في نفسها تلميذًا يدعى تيدي! فملابسه دائمًا شديدة الانتساخ، مستواه الدراسي متدن جدًا، منطو على نفسه بشكل غريب، وهذا الحكم الجائر منها كان بناء على ما لاحظته خلال العام، فهو لا يلعب مع الأطفال، وملابسه قذرة، ودائمًا ما كان يحتاج إلى الحمام، وكان كئيبًا جدًا لدرجة أنها كانت تجد متعة شديدة في تصحيح أوراقه بقلم أحمر، لتضع عليها علامات x بخط عريض وتكتب عبارة راسب في الأعلى.

ذات يوم طلبت منها إدارة المدرسة مراجعة السجلات الدراسية السابقة لكل تلميذ على حدة، وبينما كانت تراجع ملف تيدي فوجئت بشيء ما! لقد كتب عنه معلم الصف الأول: تيدي طفل ذكي موهوب يؤدي عمله بعناية وبطريقة منظمة. وكتب معلم الصف الثاني. تيدي تلميذ نجيب ومحبوب لدى زملائه ولكنه منزعج بسبب إصابة والدته بمرض السرطان. أما معلم الصف الثالث كتب: لقد كان لوفاة والدته وقع صعب عليه لقد بذل أقصى ما يملك من جهود لكن والده لم يكن مهتمًا به، وإن الحياة في منزله سرعان ما ستؤثر عليه إن لم تتخذ بعض الإجراءات من قبل والده والمدرسة معًا، بينما كتب معلم الصف الرابع: تيدي تلميذ منطو على نفسه لا يبدي الرغبة في الدراسة وليس لديه أصدقاء و ينام أثناء الدرس. هنا أدركت معلمته المشكلة وشعرت بالخجل من نفسها!

وقد تأزم موقفها جدًا عندما أحضر التلاميذ هدايا عيد الميلاد لها ملفوفة بأشرطة جميلة، ما عدا الطالب تيدي فقد كانت هديته ملفوفة بكيس مأخوذ من محل صغير لبيع الحاجيات المنزلية. تألمت السيدة تومسون ألمًا نفسيًا شديدًا وهي تفتح هدية تيدي وقد ضحك التلاميذ على هديته، وهي عبارة عن عقد مؤلف من ماسات ناقصة الأحجار، وزجاجة عطر ليس فيها إلا الربع فقط! ولكن؟ كف التلاميذ عن الضحك عندما عبرت المعلمة عن إعجابها بجمال العقد والعطر وشكرته بحرارة شديدة، وارتدت العقد ووضعت شيئًا من ذلك العطر على ملابسها، ويومها لم يذهب تيدي بعد انتهاء الدراسة إلى منزله مباشرة، بل انتظر ليقابلها وقال: إن رائحتك اليوم مثل رائحة والدتي! عندها انفجرت المعلمة بالبكاء لأن تيدي أحضر لها زجاجة العطر التي كانت والدته تستعملها ووجد في معلمته رائحة والدته الراحلة! مذ ذلك اليوم أولت معلمته السيدة تومسون اهتمامًا خاصًا به، وبدأ عقله يستعيد نشاطه من جديد، وعند نهاية السنة أصبح تيدي أكثر التلاميذ تميزًا في الفصل، ثم وجدت المعلمة مذكرة عند بابها للتلميذ تيدي كتب عليها إنها أفضل معلمة قابلها في حياته، فردت عليه أنت من علمني كيف أكون معلمة جديرة بذلك، وقد توطدت العلاقة بينهما إلى أبعد مدى.

بعد عدة سنوات فوجئت السيدة تومسون بتلقيها دعوة من كلية الطب لحضور حفل تخرج الدفعة في ذلك العام موقعة باسم (ابنك تيدي)، فحضرت المعلمة وهي ترتدي ذات العقد، وتفوح منها رائحة ذات العطر. والآن ياترى هل تعلم من هو تيدي؟

تيدي ستودارد هو واحد من أشهر الأطباء في الولايات المتحدة الأمريكية، ومالك مركز(ستودارد لعلاج السرطان). في مستشفى ميثوددست في ديس مونتيس بولاية أيوا بالولايات المتحدة الأمريكية، ويعد من أفضل مراكز العلاج ليس في الولاية نفسها فقط، وإنما على مستوى الولايات المتحدة الأمريكية.

ترى .. كم طفلًا بناه معلمينا ومعلماتنا بسبب حسن التعامل معهم والرفق بهم؟ كم تلميذًا أرسينا شخصيته عندما تجاوزنا عن زلته وتغافلنا عن هفوته؟ كم عالم ومبدع خلف لنا آثارًا لا تنسى كان خلف إبداعهم وعطائهم معلمين ومربين ارتفعوا عن حظوظ النفس ورغباتها. كم عالم ومبدع حفظت لنا كتبهم وآثارهم وسيرهم أنه تتلمذ على يد فلان أو نهل من فلان أو أخذ العلم عن فلان فذكر العالم لا يزيد بحال عن ذكر معلميه ومن تتلمذ على أيديهم. وكم وكم وكم لا تنتهي؟

إهداء لكل المعلمين والمعلمات والمربين والمربيات على اختلاف تخصصاتهم مع بداية كل عام دراسي جديد ونهاية آخر، وأنتم ونحن أحسن حالاً وأكثر إخلاصًا، وأعظم إلهامًا، لأمة وجيل ينتظر منا المتقن من العمل، والكثير من الإخلاص. فأنتم من يبني أمجاد الأمم.

خاطرة:

لتكن كلمتك طيبة، وليكن وجهك بسطًا تكن أحب إلى الناس ممن يعطيهم العطاء.
لقمان الحكيم

هل أنت ناضج بما فيه الكفاية؟

السَّلامُ عليكَ يا صاحبي

تسألني: لماذا لمْ يُعطني الله ما سألته إياه؟

فأقولُ لكَ: إنَّ الطبيب لا يعطينا الدواء الذي نريدُه ولكنَّه يعطينا الدَّواء الذي نحتاجه!

ولعلكَ تطلبُ من اللهِ ما فيه ضررك، أنتَ تنظرُ إلى الأشياء بنظرتك البشرية القاصرة، والله يُدبِّر الأمر بعلمه الكامل!

يا صاحبي إنَّ الصبي الصغير إذا رأى حبوب الدواء الملونة بكى يريدها، فمنعه أبواه منها، الطفلُ يحسبُ في الأمر حرمانًا، والأبوان يعرفان أن بعض المنع عطاء!

هكذا يُدبِّرُ الله الأمور برحمته، فتأدَّب!

أو لعلَّ الله أراد أن يُعطيكَ ما سألته، ولكنَّ الوقت لم يحِنْ بعد، التوقيت جزء من حكمته التي لا تراها!

يا صاحبي اقرأ قول ربك: "ولما بلغ أشده آتيناه حكماً وعلماً"

ثمة أشياء عليكَ أن تنضج لتحافظ عليها إن أنتَ أُعطيتها!

يا صاحبي لو فرَّج اللهُ عن يوسف عليه السلام أول الأمر ما كان له أن يصل إلى كرسي المُلك، كان يوسف بين القضبان، ولكن يد الجبار كانت طليقة تُدبِّر الأمر، وتُهيء الأسباب للأعطية الكُبرى!

يا صاحبي عشرُ سنواتٍ لموسى عليه السلام في مدين لم تكن مضيعة، كان على الظروف أن تتهيأ في مصر لقدومه، وكان عليه هو أيضًا أن يُصقل جيدًا، فالحمل ثقيل لاحقاً، والتأخير صقل وإعداد!

يا صاحبي أراد المسلمون أن يشهروا سيوفهم في مكة ويدفعوا عن أنفسهم الظلم، ولكن الإذن بالقتال تأخر لما بعد الهجرة الشريفة، الذي نصرهم بعد الهجرة كان قادراً على أن ينصرهم في بطن مكة قبلها، ولكن الله أراد أن يُربِّيهم أولاً، لأن السيف الذي ليس وراءه عقيدة سرعان ما ينحرف، وقد أراد ربك أن تُحمل السيوف إعلاءً لكلمته، لا انتقاماً من العدو، ولا انتصاراً للذات!

يا صاحبي لقد كان في قصصهم عبرة فتأمل واعتبرْ!

فإن مُنعتَ مطلقًا فهي الرحمة

وإن أُعطيتَ فهي الحكمة

وإن تأخرَّت العطية فهذا ليس أوانها

والسلام لقلبك.

قيم لم تخفها التجاعيد

سمعت عنها كثير في مجالس مختلفة، وسمعت أكثر عن أعاجيب كانت تفعلها عندما كانت يافعه نظرة الشباب، فقلت ربما ذلك ضرب من ضروب المبالغة ومجاملة بنات جيلها لها، فطلبت من أحد أبناء أختها أن نزورها زيارة سريعة لنسمع منها بعض الذكريات التي شارف النسيان والحضارة أن يطوياها! فلبى على الفور وضرب لنا موعدًا معها بعد صلاة عصر أحد الأيام، وعندما ذهبنا إليها كان عنصر المفاجئة حاضرًا، عجوز بلغت من الكبر عتيًا إلا أن روح الشباب وخفة الظل كانت حاضرة بشدة!! فقلت في نفسي النضارة شيء وخفة النفس والدم موضوع آخر، كانت غرفة بسيطة متواضعة في كل شيء إلا من حسن الاستقبال والترحيب وكرم الضيافة الأمر الذي أذهلنا عن ما جئنا من أجله، قال مرافقي ابدأ بطرح أسئلتك، فسألتها عن أغرب ما سمعته عنها (هل فعلاً كنت تنزلين القليب(١) بيد واحدة وتمسكين ابنتك بيدك الثانية)؟ قالت بكل بساطة نعم وبشكل شبه يومي، وما تفعلين بالأسفل؟ أقوم بتزييت (الماكينة) وهي التي تقوم بإخراج المياه لسقيا المزرعة، وكانت وقتها توضع أسفل القليب!! فقلت لها وماذا تفعلين بعد خروجك من القليب تذهبين لإكمال النوم؟ فقالت بعد أن نظرتني نظرة خاطفة كانت كافية لإعطائي الجواب! قالت أذهب مع ابنتي ذات الخمسة أشهر لحصد ما تيسر من العلف للبقرة التي كانت لدينا فهي مصدر قوتنا وغذائنا، وإذا لم تأكل في وقتها المعتاد فلا وجبة لنا هذا اليوم، فقلت وماذا تفعلين بعد ذلك عندما تكون الشمس قاربت أن تصير في كبد السماء؟ فقالت لن أجيب على سؤال حتى تبادروا بشرب القهو وتناول ما تم تجهيز من تمر وكليجا(٢) وبعض من زاد القوم الذي لا يخلوا من الفائدة المركزة، بعدها باشرنا أنا ومرافقى لتلبية رغبتها طمعًا في الحصول على مزيد من برنامجها اليومي، فبادرتها ونحن نحتسي أكواب القهوة وماهو التالي في البرنامج اليومي؟ فقالت بعد تشغيل الماكينة يكون الماء قد بدأ بالوصول لحياض المزرعة فأتناول المسحاة (أداة لتوجيه الماء داخل المزرعة تعتمد على الجهد البدني والعضلي في الاستخدام!! وأبدأ بسقي النخيل وأحواض المزرعة المختلفة!! وكم يأخذ هذا من الوقت؟ قرابة الأربع ساعات ونيفًا، فقلت من المؤكد أنك تذهبين للقيلولة بعد هذا اليوم الشاق في العمل؟ فنظرتني نظرة ثانية وكأنها تشير إلى بالتوقف عن السخرية منها؟ قالت أبدأ بطحن ما تيسر من القمح لإعداد وجبة العشاء للزوج والأولاد، وقبل ذلك تذهب لحلب البقرة واستجلاب ما وهبه الخالق في هذه المخلوقة العجيبة الخارقة من لبن سائغ لم يتغير طعمه!! وقد يأخذ هذا قرابة الساعة أو ما حولها! بعدها تبدأ معركة تجهيز العشاء فمن إحضار وتجهيز الحطب وهو غالبا من مواد البيئة المحيطة كالنخيل والأثل وغيرها، وإعداد وتحضير الدقيق والعجن والخبز وما يتبع ذلك من مكونات للعشاء البسيط الدافئ، إلا إذا لم يكن لدى الأسرة ضيوف فالأمر يحتاج لقصة ورواية أخرى.

ثم بعد ذلك سألتها وماذا تقولين عن نساء الوقت الحاضر(المترف)؟ فتوقعت أن تقول فيهم ما قال مالك في الخمر! إلا أنها لم تفعل بل ذكرت لهم من الثناء والدعاء لهم بصلاح الحال ما تعجبت منه فالكثير من الناس يريد التسلق على انتقاص الآخرين والنيل منهم لإظهار فتوته وقدرته، إلا أن جمال روح هذه العجوز فاقت كل تصور، وفي خضم حديثنا معها عن برنامجها اليومي ورد في طيات الحديث ذكر أخاها صالحًا الذي انتقل إلى جوار ربه فخنقتها عبرة لم تكن عابره، والتي لم تستطع هذه السنون مسح ذكرياته من الذاكرة فأكملت جمال روحها وطيب حديثها بوفائها ونبلها عن أخيها الذي لبى نداء ربه قبل ما ينيف عن العشر سنوات.

وفي ختام لقائنا معها طلبت منى أرقام هاتف والدتي وخالتي وعمتي لتتصل بهم وتسلم عليهم مع أنها أكبر منهم سنًا (والحق كما يقول المثل العامي للكبير)، إلا أن كبر السن وعدم معرفتها بحفظ الأرقام كون هاتفها أرضيًا لم يمنعاها من هذا الطلب، وتلك شيمة النفوس الطيبة المحبة للخير دون الالتفات لمثبطات الهوى ونوزاع الكبر. فطلبت منها أن أقوم بإبلاغهم للاتصال بها في صاحبة الحق والأولى بالوفاء.

تلك يا سادة قصة لم تكن لتروى كونها الرتم السائد في ذلك الوقت لمعظم إن لم يكن لكل بنات جيلها، ولولا أني سمعت الحديث منها مباشرة لقلت ان فيما ذكر مبالغة شديدة، ولكنها بين أيديكم يرويها السلف للخلف لتكون دروسًا ننهل من معانيها معنى الصبر والتجلد والحكمة والوفاء.

بقي أن تعرف عزيز القارئ أن تلك المرأة صاحبة قصتنا هي السيدة العاقلة الرشيدة حميدة الشيم أم عبدالله عائشة بنت إبراهيم بن عبدالعزيز الحميدان وهي زوج الشيخ فريح بن محمد العقلا متعهما الله بالصحة والعافية.

---

١ - القليب: البئر.

٢ - الكليجا: أقراص كعك مجوفة تصنع من الدقيق وتُحشى بالتمر أو العسل أو السكر أو دبس التمر.

فن صناعة السعادة أحد أروع القصص للروائي الألماني فرانز كافكا

عاش الأديب العالمي كافكا، قبل وفاته بسنة تجربة جميلة جدًا، كتب عنها في أحد رواياته ربما أنها في روايته (رسائل إلى ميلينا).

في حديقة في برلين لفتت انتباهه طفلة تبكي بحرقة، بسبب أنّها فقدت دُميتها، عرض عليها أن يُساعدها في البحث لكنه لم يجد شيئًا، فاقترح عليها أن ترجع لبيتِها وأن يقابلها في اليوم التالي ليبحثا مجددًا..

لكن في البيت، قرّر كافكا أن يكتب رسالة على لسان الدّمية للطفلة، ويسلّمها لها في الموعد لأنّه كان واثقًا أنّ الدّمية ضاعت للأبد.

الرّسالة كانت: (صديقتي الغالية توقّفي عن البكاء أرجوكِ، إنيّ قرّرتُ السّفر لرؤية العالم وتعلُّم أشياء جديدة، سأُخبرك بالتّفصيل عن كلّ ما يحدث لي يوميًا) عندما تقابلا قرأ الرّسالة للطفلة التي لم تتوقف عن الابتسامة والفرحة وسط دموعها! وهذه لم تكن الرسالة الوحيدة، كانت البداية لسلسلة لقاءات ورسائل بينهما، تحكي فيها الدّمية للفتاة عن مغامراتِها وبطولاتِها بأسلوب مُمتع، جميل وجذّاب، بعد انتهاء المغامرات أهدى كافكا للبنت دمية جديدة كانت مُختلفة تمامًا عن القديمة، ومعها آخر رسالة على لسان الدُمية:

(الأسفار غيرّتني، لكن هذه أنا)

كَبرت الفتاة وبقيت مُحتفظة بدمية كافكا إلى أن جاء يوم واكتشفت رسالة أخيرة ثانية كانت مخبّأة في مِعصم دميتها وجاء فيها:

(الأشياء التي نُحبّ معرّضة للفقدان دومًا لكن الحبّ سيعود دومًا بشكل مختلف!!

- أنا على يقين أنّ الحبّ الذي أهديناهُ بقلبٍ مُخلصٍ لن يضيع، سيعود إلينا حتمًا.. لكن ليس بالضرورة أن ننتظره على ذات الأعتاب الذي بذلناهُ عندها.. ينبغي ألاَّ ننشغل بالبكاء عليه في حين يتسللُ هو طإلى قلوبنا من نافذةٍ أخرى أجمل)

وما أجمل ما قاله المهاتما غاندي مختصرًا هذه الرواية:

"نبحث عن السعادة بعمق، ثم نجدها في أبسط الأشياء".

خاطرة

عندما تُدخل السعادة إلى قلوب الآخرين ستعرف السعادة عنوانك.

وليم شكسبير

الاحتلال الناعم (ملاك طنطا أنموذجًا)

عندما سمعت عنه أول مره ظننت أن ما يقال عنه ضرب من الخيال أو المبالغة المذمومة، لكن عندما قرأت وسمعت أكثر وجدت أن ما قيل هو نزر يسير لم يوفي الرجل حقه، طلق الدنيا بكل تفاصيلها وترفها ناذرًا نفسه لخدمة المعدمين والمطحونين من أبناء جلدته، ذاك هو د. محمد مشالي، الشهير في مصر بـ "طبيب الغلابة" تعددت الروايات حول سبب تكريس مشالي حياته لعلاج الفقراء، ومن أبرزها أن ذلك جاء تنفيذًا لوصية والده، بينما قالت رواية أخرى إن ما دفعه لذلك وفاة طفل بين يديه، بسب عجز أسرته عن شراء الدواء.

ظل مشالي طيلة عقود يتقاضى أجرًا زهيدًا مقابل علاج زبائنه، وهو خمسة جنيهات مصرية، وزاد أخيرًا ليصل إلى عشرة جنيهات، أي أكثر قليلاً من نصف دولار، بينما يتقاضى غيره مئات إن لم تكن آلاف الجنيهات، لكن في حالات كثيرة كان طبيب الفقراء يرفض أن يتقاضى أي أجر، بل يدفع من جيبه الخاص للمرضى لشراء الدواء، عاش مشالي حياة بسيطة للغاية، وكانت عيادته متواضعة ولم يمتلك سيارة أو هاتفًا محمولًا.

عندما رأى أحد المذيعين الساعة المتهالكة على مكتبه سأله إن لم يكن لديه ساعة من ماركة (رولكس) فقال بكل بساطة (أعمل بيها إيه) هذه الساعة التي بين يديك تخبرني بمواعيد القطار مثل الرولكس!!!

عندما تدخل عيادته سترى عجبًا من الصور لن تجدها عند غيره في الغالب، ستجد الملفات المكدسة أمام مكتبه ليسهل عليه استرجاعها بسرعة، وسترى المجهر فوق مكتبه ليوفر على المرضى قيمة التحاليل، وسترى مكتبًا متهالكًا يقبع خلفه شخصية من أعاجيب هذا الزمن.

رفض الرجل عروضًا كثيرة بالمساعدات من منظمات خيرية وأثرياء، للانتقال إلى عيادة أحسن حالًا، وحين قبل بعض تلك المساعدات، في مرات نادرة، تبرع بها للفقراء واشترى أجهزة طبية لإجراء التحاليل الأولية الضرورية لمرضاه.

رحل مشالي عن دنيانا تاركًا إرثًا من القيم الانسانية والأخلاقية يندر وجودها في زمن تكالبت فيه مطامع الدنيا وشح الأنفس وطغيان الحياة المادية الرأسمالية البغيضة التي كشرت عن أنيابها علي حياة البشر، رحل مشالي تاركًا لنا ضوء في نهاية النفق محتلاً قلوب الناس وعقولهم بأساليب ناعمة لا تستطيع فعلها كل قوى الأرض، حتى أطلق عليه المصريون (ملاك طنطا) لما رأوه من تعالي على حظوظ النفس وملذات الدنيا وإيثار مساعدة الخلق وعونهم على تحمل أعبائها.

وما أجمل ما قاله الفيلسوف اليوناني أرسطو طاليس:

"أفضل شيء هو ترك الحياة كما تترك مأدبة: لا عَطِشًا ولا ثمِلاً".

خاطرة

ليس للرجل سوى مجد واحد حقيقي، هو التواضع.

قوة السكينة

قرأت على لسان طيّار كبير:(١)

أنّ طائرة إيرباص A ٣٨٠ تطير في طريقها عبر المحيط الأطلنطي في خط مستقيم وبهدوء بسرعة ٨٠٠ كم في ساعة.

ظهر لها فجأة طائرة يورو فايتر مزودة بتقنية Tempo Mach التي تمكنها من أن تتجاوز ضعفي سرعة الصوت في لحظات خاطفة!

يبطئ طيار الطائرة المقاتلة الشاب ويطير بجانب طائرة الإيرباص ويحيي قائدها العجوز عن طريق الراديو ثم يقول له:

رحلة إيرباص رحلة مملة، بطيئة أليس كذلك؟

انتبه أيها القائد وألق نظرة عليّ ماذا سأفعل!

يقوم الشاب بقلب طائرته على ظهرها ثم يتسارع ويخترق حاجز الصوت ثم يصعد بسرعة إلى ارتفاع مذهل ويهوي إلى مستوى سطح البحر تقريبًا في عرض استعراضي خلاب مثير!!

بعدها عاد الطيار العسكري الفتيّ مرة أخرى بجوار طائرة الإيرباص وسأل قائدها العجوز الكبير:

حسنًا: كيف رأيت ذلك؟

يجيب قائد الإيرباص الكبير سنًا وخبرة: استعراضك يا بنيّ مثير للإعجاب للغاية!

لكن ألق نظرة علينا هنا لترى ما يمكنني فعله ولا يمكنك فعله!!!

راقب طيار المقاتلة طائرة الإيرباص لكنه لا يرى شيئا يحدث!

يستمر قائد الإيرباص في الطيران في خط مستقيم وبنفس السرعة

بعد عدة دقائق أجرى قائد الإيرباص اتصالاً لاسلكيًا مع طيار المقاتلة وسأله: حسنًا ماذا تقول الآن؟

يسأله قائد المقاتلة وهو في حيرة ودهشة وماذا فعلت!؟!

يضحك قائد الإيرباص ويقول:

نهضت وحرّكت ساقي وذهبت إلى مؤخرة الطائرة إلى دورة المياة وأخذت فنجانًا من القهوة وكعكة القرفة وتحدثت مع بعض ملاحي الطائرة، وسمعت اثنان من الركاب يتبادلان النكات بينهم، وتجاذبت أطراف الحديث مع أحد الركاب عندما سألني كيف تركت قمرة القيادة وأنت قائد الطائرة فأخبرته بالتقنيات المتطورة المجهزة بها والتي نستطيع من خلالها إدارة الرحلة بأكملها، وأنتَ لا تستطيع عمل أي من ذلك الذي قمت أنا به أليس كذلك؟؟

المغزى

عندما تكون صغيرًا شابّا تبدو السرعة ويبدو الاستعراض وحبّ التفاخر والتظاهر والأدرينالين رائعين، ولكن مع تقدّمك في السن واكتسابك للحكمة والمعرفة سوف تفهم قيمة الراحة والسلام والهدوء، وهذا ما يسمى S.O.S

Slower

Older

Smarter

أبطأ - أقدم - أذكى

إهداء الى جميع أقراني وأصدقائي وزملائي الذين هم في نفس عمري أو أقل أو أكثر؛ لندرك أننا نجحنا وسعدنا أحيانًا كثيرة، وفشلنا وحزنا أحيانًا محدودة وكانت لنا فيها دروسًا وعبرًا، وأنّ الوقت قد حان للإبطاء من اندفاعنا وتهوّرنا والاستمتاع ببقية رحلتنا في هذه الحياة الدنيا بهدوء وسلام.

وما أجمل ما قاله الشاعر وعالم الطبيعة الألماني يوهان غوته

تنمو الموهبة مع الهدوء والسُّكون،

وتنمو الشّخصية بخوض معترك الحياة.

الهوامش:

(١) هو مقال وصلني وأعدت اقتباسه وصياغته بتصرف وإضافات ليناسب السياق.

ماذا لو رأيت الجمال كله؟

عندما سخر نسوة المدينة، من امرأة العزيز دعتهن وأعطت كل واحدة منهن سكينًا وتفاحة لتقطعها وعندما خرج عليهن يوسف عليه السلام أصابهن الذهول لدرجة أنهن قطعن أيديهن دون شعور بالألم!!

والسؤال يبقى ألهذا الحد؟

ألهذا الحد يتعطل الإحساس عند التلذذ بالنظر؟!!

استشعر هذا جيدًا

قلوب واجفة

عيون شاخصة

يد تجرح

دم ينزف

ولا برهة إحساس بالألم،

لشدة التلذذ بما يرينه أمامهن!

إنه أمر مدهش حقًا!!

وتفسير ما حدث أن أعينهن عندما تلذذت بمنظر جمال يوسف تعطل كل مستشعرات الإحساس عندهن بأي شيء مؤلم حتى لوكان عظيمًا، ولا غرابة فيوسف أعطاه الله نصف جمال الكون.

بقي السؤال الأهم وهو الشاهد!!

كيف ستكون اللذة عند رؤية الله سبحانه رب الجمال وخالق الجمال كله في الآخرة؟!!!

(وُجُوهٌ يَوْمَئِذٍ نَاضِرَةٌ (٢٢) إِلَىٰ رَبِّهَا نَاظِرَةٌ)

إن أعظم لذة خلقها الله هي رؤية وجهه الكريم نسأل الله أن لا يحرمنا ذلك.

وبالمقابل إن أعظم عذاب وحرمان أن تحرم من رؤيته أقرأ (كَلَّا إِنَّهُمْ عَنْ رَبِّهِمْ يَوْمَئِذٍ لَمَحْجُوبُونَ).

ليس في الدنيا كلها ما يستحق أن نخسر من أجله أعظم لذة.. "رؤية الله"

إن الكلمات لتعتذر عن الوصف عندما ترى إلهك وخالقك الذي أوجدك من العدم، وتفضل عليك بالنعم، إلهك الذي كنت تعبده لسنين دون أن تراه، وأنت متشوق لرؤيته، تناجيه في جوف الليل، تخشاه في خلواتك، تسجد له وتدعوه.

ولذا يزول العجب عندما يصدر عن مشكاة النبوة هذا الدعاء.

(وأسألك لذة النظر إلى وجهك والشوق إلى لقائك)

ما أجمل تلك الساعة وأبلغ وصفها، عندما تتصاغر وتتقزم جميع لذائذ ومتع الآخرة عند رؤية وجهه الكريم، عندما ينعكس جمال المرئي على وجوه الرائين!!

(وُجُوهٌ يَوْمَئِذٍ نَاضِرَةٌ (٢٢) إِلَىٰ رَبِّهَا نَاظِرَةٌ)!!

أسأله بجماله وكماله أن يجعلني وإياكم ووالدينا ومن نحب، ممن يتنعمون برؤية وجهه الكريم. في مقعد صدق عند مليك مقتدر.

المنقاش: الشيخ محمد بن محمود

هو الشيخ الفقيه محمد بن إبراهيم بن محمد ابن محمود (ت١٣٣٣)، من المبرزين في الفقه الحنبلي، وقد أطلق عليه أهالي الرياض بعض الألفاظ الشعبية، منها: "المنقاش"، و"خطام الصعب"؛ لأنه كان يمسك بالمسائل الصعبة ويقوم بحلها.(١)

ولد في سنة ١٢٥٠ هـ ببلد ضرماء من بلدان العارض بنجد ونشأ بها بين والديه إلي سن التمييز ثم صار في حضانة أمه وقرأ القرآن حتى ختمه نظرا وعن ظهر قلب ثم اشتغل بقراءة العلم على قاضي بلدة ضرماء آنذاك عبد الله بن نصير وفي سنة خمس وستين ومائتين وألف قدم مدينة الرياض فقرأ فيها على الشيخ العلامة عبدالرحمن بن حسن ابن شيخ الإسلام محمد بن عبدالوهاب وابنه الشيخ عبد اللطيف ابن الشيخ عبد الرحمن والشيخ عبد الرحمن بن عدوان أحد قضاة الرياض في زمنه والشيخ عبد العزيز بن شلوان من قضاء الرياض آنذاك ثم أرسله الإمام فيصل بن الإمام تركي بن عبدالله بن محمد بن سعود لأهل وادي الدواسر قاضيا وأقام عندهم ثلاث سنين ثم أعفي من القضاء ورجع إلي مسقط رأسه بلدة ضرماء ثم عين قاضيا لها ومكث في قضاء بلدة ضرماء إلي سنة ١٢٨٠ هـ وفي سنة ١٢٨٣ هـ بعد وفاة الإمام فيصل نقله الإمام عبدالله ابن الإمام فيصل إلى قضاء مدينة الرياض فاستقر فيها وصار إلى جانب القضاء يقوم بتدريس الفقه الحنبلي ويصلي بالناس الفروض الخمسة بمسجد الجامع الكبير، وأخذ عنه عدد من تلاميذه.

توفي الشيخ محمد بن محمود في مدينة الرياض في شهر صفر ١٣٣٣ هـ عن ٨٣ سنة، وقبر بمقبرة العود _ رحمه الله _ وغفر له. وخلف ثلاثة أبناء هم: عبد الله وعمر وعلي وكلهم انتقلوا إلي رحمة الله ولهم أبناء وأحفاد في بلدة منفوحة.٢

تعجبت كثيرًا عندما قرأت هذه القصة عن هذا العلم الكبير، وتعجبت أكثر من التصاق بعض الألقاب بأصحابها التصاقًا لا فكاك منه، وبعد البحث الطويل في بطون الكتب والعديد من المقالات وجدت أن مثل هذه الألقاب الدقيقية تلتصق بأصحابها لخصائص ومكنونات لا توجد عند غيرهم

من أهمها طول النفس وكأنه أوتي صبر نملة، والغوص العميق في المسائل وكأنه أوتي نفس حوت، وجلد طويل وكأنه ضاري أدركته مسغبة الجوع فأضحى يضرب شعاب الأرض للبحث عن فريسة.

يقول أبو حاتم الرازي:

من أمضى يوما من عمره في غير حق قضاه، أو فرض أداه أو مجد أثله أو حمد حصله أو خير أسسه أو علم أقتبسه فقد عق يومه وظلم نفسه.

وقال النظَّام: "العلم شيءٌ لا يعطيك بعضه حتى تعطيه كلك، فإذا أعطيته كلك فأنت من إعطائه لك البعض على خطر.

وما أجمل وأمتع قول الإمام ابن هشام النحوي:

ومن يصطبرْ للعلم يظفرْ بنيلهِ

ومن يخطب الحسناءَ يصبرْ على البذلِ

خاطرة:

العلم رأسمال لا يفنى

أبراهام لنكولن

المصادر:

١ - الحياة العلمية في مدينة الرياض للدكتور راشد العساكر ص١٤٩

٢ - مشاهير علماء نجد وغيرهم، عبدالرحمن بن عبداللطيف بن عبد الله بن عبداللطيف بن محمد بن عبدالوهاب، دار اليمامة للبحث والترجمة والنشر، الرياض، الطبعة: الأولى، ١٣٩٢ هـ/ ١٩٧٢م

-للاستفادة: ترجمة الشيخ كاملة:

https://www.alriyadh.com/243277

ابحث عن مكامن القوة
في نفسك!! (وركز عليها)

الكثير منا يعرف شخصية الممثل (مستر بن) الممثل البريطاني الصامت الذي أبهر العالم بأدائه المبهر والذي كانت تتهافت عليه محطات التلفزة لشراء حقوق أدائه الذي سطع في شرق الأرض وغربها والقليل منا يعرف أنه مهندس كهرباء بدرجة ماجستير من جامعة أكسفورد البريطانية في الهندسة الإلكترونية. من كلية ذا كوين

وهو من اخترع شخصيته الصامتة بنفسه واعتمد فيها على الصمت الكامل وشكله فقط وحركاته وإيمائاته، بعد فشله عدة مرات في كل محاولات التقديم العديدة إلى التمثيل والسبب صوته وشكله الذي لم يكن يعجب المخرجين، وبعد كل مقابلة من مقابلات التمثيل يخرج منها بخفي حنين. جارًا خلفه أذيال الخيبة.

بعد عدة محاولات بدأ يفكر بنفسه أين مكامن القوة فيه، حتى اهتدى أخيرًا إلى تطوير الشخصية الصامتة لنفسه وهي شخصية مماثلة جدًا لشخصية تدعى روبيرت فوكس في مجال الكوميديا الصامتة (ضحك معلب)، وهي خصائص مشابهة لفيلم بين. تظهر الشخصية في مشهد قصير في مهرجانات فرينج في إدنبرة في أوائل الثمانينيات، والعجيب في ذلك أنه زيادة على أنه من ابتكر هذه الشخصية وهو من يقوم بالتأليف والتمثيل وجميع الأدوار وتظره الشخصيات الأخرى كشخصيات صامتة تمامًا أو قليلة الكلام جدًا.

نجح في أن يجعل سكان الكرة الأرضية تضحك دون أن ينطق كلمة واحدة وبملامح وجهه فقط مع دب بني صغير وسيارة خضراء Mini وامتلك ثروة تقدر بمئات الملايين من الدولارات وحاز على تكريم روساء وملوك العالم ومنهم الملكة إليزابيث الثانية ملكة بريطانيا الراحلة (وسام الإمبراطورية البريطانية برتبة قائد)!! إنه الممثل البريطاني روان أتكينسون.

العجيب جدًا أنه في حالات النجاح المماثلة يتم إعادة إنتاج المواد بطرق مبتكرة فكان إنتاج مستر بين: المسلسل المتحرك (بالإنجليزية): Mr. Bean هو مسلسل رسوم متحركة من إنتاج Tiger Aspect Productions ليدر هو الآخر أرباحًا له لم تكن في الحسبان.

لذا ابحث عن مكامن القوة فيك وما تستطيع عمله فأنت أقدر شخص على ذلك!!

ولا تنظر للفشل كذريعة للتوقف

وما أجمل ما قاله العلامة ابن تيمية رحمه الله:

ألفتَ عجز العادة؛ فلو علت بك همتك ربا المعالي لاحت لك أنوار العزائم.

خاطرة:

العجز مفتاح الفقر.

أكثم بن صيفي

دور الذكاء الصناعي في مجال النشر

يعتبر الذكاء الصناعي من التكنولوجيات الحديثة التي تشهد تطورًا متسارعًا وتأثيرًا كبيرًا على العديد من المجالات، ومن بين هذه المجالات يأتي مجال النشر. فقد ثبت أن الذكاء الصناعي يلعب دورًا هامًا في تطوير وتحسين صناعة النشر، وذلك من خلال توفير الأدوات والتقنيات التي تعزز عملية إنتاج المحتوى وتسهم في زيادة جودته وتوصيله للجمهور المستهدف. في هذا المقال، سنستعرض بعض الأمثلة على كيفية استخدام الذكاء الصناعي في مجال النشر.

أحد الاستخدامات الرئيسية للذكاء الصناعي في مجال النشر هو تحسين عملية إنتاج المحتوى. يمكن للذكاء الصناعي توليد محتوى جديد بشكل آلي، سواء كانت مقالات أو تقارير أو حتى كتبًا. فعند إدخال الذكاء الصناعي بعض البيانات والمعلومات، يمكنه توليد محتوى متكامل ومنسق يلبي احتياجات القراء. هذا يوفر الكثير من الوقت والجهد على الكتّاب والناشرين، ويساعد في تسريع وتسهيل عملية الإنتاج.

بالإضافة إلى ذلك، يمكن للذكاء الصناعي تحسين تجربة القراء. يمكن للذكاء الصناعي تحليل تفضيلات القراء وعاداتهم في القراءة، وبناء نماذج توصي بالمحتوى المناسب لكل قارئ. فعلى سبيل المثال، يمكن للذكاء الصناعي توفير توصيات شخصية للكتب أو المقالات التي قد تثير اهتمام القارئ، مما يزيد من فرص اكتشاف المزيد من المحتوى ويعزز القراءة المستمرة.

علاوة على ذلك، يستخدم الذكاء الصناعي في تحسين العمليات الناشرة وإدارة النصوص. يمكن للذكاء الصناعي تحليل النصوص والمحتوى المطبوع، وتحديد الأخطاء والأخطاء النحوية والإملائية، وتقديم توصيات لتحسينها. كما يمكنه أيضًا تحليل البيانات المرتبطة بالمبيعات والقراءة وتوقع سلوك القراء والاتجاهات الجديدة في السوق وقت الطبعة. هذا يساعد الناشرين على تحسين جودة المحتوى وتقليل الأخطاء، مما يؤدي إلى تعزيز سمعة الناشر وزيادة رضا القراء.

علاوة على ذلك، يمكن للذكاء الصناعي أن يلعب دورًا في تحليل الاتجاهات وتوقع المستقبل في مجال النشر. يمكن استخدام الذكاء الصناعي لتحليل البيانات الضخمة المتاحة، مثل تفاصيل المبيعات والتفاعلات عبر الإنترنت، لاكتشاف اتجاهات جديدة وفهم سلوك القراء وتفضيلاتهم بشكل أفضل. هذا يمكن الناشرين من اتخاذ قرارات استراتيجية مستنيرة بشأن المحتوى المستقبلي وتوجيه استراتيجياتهم التسويقية.

مع ذلك، يجب أن نلاحظ أن الذكاء الصناعي لن يحل جميع التحديات في مجال النشر. فلا يزال الإبداع والإبداع البشري أمرًا حاسمًا في صناعة النشر، حيث يمكن للكتّاب والمحررين أن يوفروا الرؤية والأفكار الفريدة التي تجذب القراء. بالإضافة إلى ذلك، هناك قضايا أخلاقية وقانونية تحتاج إلى مراعاة عند استخدام الذكاء الصناعي في مجال النشر، مثل حقوق الملكية الفكرية والخصوصية.

يمكن القول بأن الذكاء الصناعي يلعب دورًا هامًا في تحسين وتطوير صناعة النشر. من خلال توفير أدوات التحليل والتنبؤ والإنتاج التلقائي، يساهم الذكاء الصناعي في تعزيز جودة المحتوى وتحسين تجربة القراء. ومع ذلك، يجب أن يتم استخدام الذكاء الصناعي بحكمة ومع مراعاة القضايا الأخلاقية والقانونية المرتبطة بهذا المجال.

كما أن استخدام الذكاء الصناعي في مجال النشر يثير مجموعة من القضايا الأخلاقية والقانونية التي يجب مراعاتها. وهذه بعض القضايا المرتبطة بهذا المجال:

١. حقوق الملكية الفكرية: ينبغي مراعاة حقوق الملكية الفكرية عند استخدام الذكاء الصناعي في إنتاج المحتوى. يجب التأكد من أن الذكاء الصناعي لا يقوم بانتهاك حقوق النشر أو استخدام المحتوى بدون إذن صاحبه الشرعي.

٢. الخصوصية: يجب مراعاة خصوصية المستخدمين والقراء عند استخدام الذكاء الصناعي في تحليل تفضيلاتهم وتوصيات المحتوى. يجب الحفاظ على سرية المعلومات الشخصية وعدم استخدامها بطرق تخالف سياسات الخصوصية المعمول بها.

٣. التحيز الأخلاقي: يمكن أن يتسبب الذكاء الصناعي في تحيز في إنتاج المحتوى أو توصياته. يجب مراقبة النماذج الذكائية والخوارزميات المستخدمة للتأكد من عدم وجود تحيزات تمييزية أو تمييز غير عادل تجاه فئات معينة من القراء.

٤. المسؤولية القانونية: عند استخدام الذكاء الصناعي في إنتاج المحتوى، يجب التحقق من أن النصوص والمعلومات المنشورة لا تنتهك القوانين المرتبطة بالتشهير أو الكذب أو الإساءة وغيرها من الجوانب القانونية.

٥. التشفير والأمان: يجب أن يتم حماية البيانات والمعلومات المرتبطة بالنشر بواسطة الذكاء الصناعي من التسريب أو الاختراق. ينبغي استخدام تقنيات التشفير وتطبيق معايير الأمان لحماية البيانات والحفاظ على سرية المعلومات.

٦. الأخلاق المهنية: يجب على الناشرين والمؤلفين أن يلتزموا بمعايير أخلاقية مهنية عالية عند استخدام الذكاء الصناعي في مجال النشر. يشمل ذلك توفير محتوى ذو جودة عالية وموثوقية، وتقديم معلومات صحيحة ومنصفة، وتجنب استغلال التكنولوجيا في أغراض غير أخلاقية.

لا تخدعنك المظاهر !!

ذكر الشيخ عبد الله القحطاني وفقه الله في لقاء "برنامج طلاب الشيخ ابن عثيمين رحمه الله" على "اليوتيوب" أن الشيخ ابن عثيمين درس في معهد الرياض العلمي عام ١٣٧٢هـ ١٩٥٢م، وكان يجلس بجوار الشيخ عبدالرحمن البراك حفظه الله في الفصل، وقد وصفه ابن عثيمين بقوله: جلستُ على الطاولة وبجواري طالبٌ مؤدّب خلوق كفيف طيّب، فأحببتُه واستأنستُ به منذ التقيتُه. أهـ

وذكر القحطاني أنّ ابن عثيمين تفاجأ من أحد المعلمين الذي كان بدويّ الهيئة، أسمر البشرة رثّ الثياب، فقال الشيخ في نفسه: الآن أترك شيخنا ابن سعدي وعلمه الواسع وطيبته وأريحيّته، وكنتُ في بلدتي بين أهلي وأصحابي، وأجلس عند هذا الإفريقي البدوي! يا ضيعة العلم والعلماء!. أهـ

وكانت المفاجأة عندما تكلّم هذا المعلم وتحدّث في صنوف العلم وفنونه بلا كتاب، وشرّق وغرّب، وتلا الآيات ونقل أقوال العلماء، والمفسرين والفقهاء واختلافاتهم، وذكر الأحاديث بأسانيدها وشروحها، وروى الأشعار والشواهد، وتفجّرت أنهار العلوم من بين جنباته، وتدفّقت من لسانه كالسيل الهادر، علوم وأقوال لا يكاد يحويها صدر عالِم لقيه ابن عثيمين أو عاصره، فكان هذا الشيخ هو العلامة المفسر الفقيه النحوي الشيخ محمد الأمين الشنقيطي رحمه الله(١)

على إثر ذلك وصفه ابن عثيمين رحمه الله فقال: لله دره ما أقوى حجّته، وما أسدّ بيانه، وما أرفع كعبه في العلم وبيانه ونقله، رغم احتقارنا لهيئته أولَ الأمر، ففرحتُ بذلك أيما فرح، وشكرتُ الله تعالى أن تمكّنتُ من لُقيا هذا الجبل الأشمّ، والبحر الزاخر. أهـ

ومما ذكره القحطاني وفقه الله أنّ شيخيْه ابن عثيمين والبراك كانا يتنافسان في الدراسة على ترتيب الطلاب هذا يأخذ الأول وذاك يأخذ الثاني.

وفي هذا المقام تذكرت بعض ما قاله بعض الفلاسفة، ومنها ما قاله عالم الفيزياء الألماني ماكس بلانك: "ما يبدو لنا اليوم غير قابل للتصور، سيصير يومًا من وجهة نظر أوسع، بالغ البساطة والتناسق. "

والمقولة الشهيرة للفيلسوف والعالم اليوناني أفلاطون: "أن يتغلّب الإنسان على نفسه، فذلك أوّل الانتصارات وأكثرها نُبلاً."

الهوامش:

(١) هو محمد الأمين الشنقيطي هو محمد الأمين بن محمد المختار بن عبد القادر بن محمد بن نوح بن محمد بن أحمد بن المختار الجكني نسبة إلى يعقوب الجكني الشنقيطي ١٩٠٥ ١٩٧٤).

أعجوبة عصره ومتقن زمانه في الحفظ والاستدلال والاستنباط وقوه البيان.

من أهم مؤلفاته معلمته القرآنية الكبرى التي سماها "أضواء البيان في إيضاح القرآن بالقرآن"، كما ألف كتبًا أخرى عديدة، منها:

* دفع إيهام الاضطراب عن آي الكتاب.
* مذكرة في أصول الفقه على "روضة الناظر".
* وقام بشرح كتاب "مراقي السعود" في الأصول.
* رحلة إلى الحج.
* وألف كتابًا صغيرًا عن حكم الصلاة في الطائرة.

وفي الجانب الأدبي، اشتهر الشيخ الشنقيطي بقرض الشعر، وقد سرد رحلته إلى الحج في كتاب زاخر بالأدب والمناظرات والفوائد العلمية.
رحمه الله رحمة واسعة وجميع علمائنا ووالدينا والمسلمين.

البرِّ وفقه الإحسان

(ملهمة الفقه العميق) و(ملهمة البر وفقه الإحسان).

ثارت قبل فترة من الزمن فتوى مثيرة للجدل بين اثنين من فقهاء الجزائر وهُما:

الشيـخ: موسى إسماعيل، والشيخ: الطاهر آيت علجت رحمه الله.

يتلخص الموضوع أن أبناءً أصيب والدهم بالزهايمر وهو داء النسيان المعروف، فذهبوا يستفتون الشيوخ في هذا الأمر: فقالوا للشيخ موسى إسماعيل: «والدُنا مريض بـالزهايمر، فهو يأكل ناسيًا في نهار رمضان فما الواجب علينا فعله؟».

فأجابهم بقوله: «أبوكم قد زال عقله، والعقل مناط التكليف فهو غير مكلف بالصوم أصلًا وبالتالي فلا شيء عليه.

ثم ذهبوا للشيخ (الطاهر) بنفس السؤال فأجابهم الفقيه الورع:

«أطعموا عن والدكم عن كل يوم مسكينًا، فلئن تعاملوا والدكم معاملة المريض أحب إليَّ من أن تعاملوه معاملة المجنون».

فسمع الشيخ موسى إسماعيل بهذه الفتوى فبكى وقــال:

«حفظ الله الشيخ الطاهر فالفتوى قبل أن تكون فتوى يجب أن تكون تقــوى!!»

فقد لاحظ الشيخ أن في هذه الفتوى تقوى وبرًا وأدبًا مع الوالد، ورأى أنه من العقوق أن يعامل الأبناء أباهـم معاملة من ذهب عقله؛ حاله كحال المجنون بل أمرهم أن يعاملوه معاملة المريض.

وهذا الفهم هو ما أبكى الشيخ موسى إسماعيل وإدانته بالفضل والعلم وعمق الفهم للشيخ الطاهر آيت.

بغض النظر عن قناعتنا بأحد الرأيين من عدمه وبحجيتهما، إلا أن جوهر الدين ومضمونه وأحكامه تميل لكفة الإحسان والبر والعطف أين كان مساقهما ومآلهما.

خاطرة:

لا تحسبن العلم ينفع وحده

ما لــم يُتوج رَبُّــهُ بِخَــلاقٍ

والعلم إن لم تكتنفه شمائل

تُعْلِــيهِ كَان مَطِيةَ الإِخْــفَاقِ

اللهم ارزقنا الفقه مع الأدب وارزقنا البر بوالدينا أحياءً وأمواتًا.